تأملات

في الإسراء والمعراج

إعداد
نايف الرجوب

الطبعة الأولى
1437 هـ / 2016 م

2016م – 1437 هـ

يوزع مجانا
عن روح الوالدين

الإهداء

إلى المرابطين والمرابطات في ساحات مسرى النبي صلى الله عليه وسلم يدافعون عن

مقدسات المسلمين وكرامتهم نيابة عن الأمتين العربية والإسلامية .....

إلى شيخ الأقصى رائد صلاح الذي يقبع في زنازين الظلم من أجل الأقصى والقدس.....

أهدي هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أسرى بنبيه الكريم من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى بيت المقدس، حيث المسجد الأقصى المبارك، ثم عرج - بإذن الله - إلى السموات العلى، إلى أن وصل إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره ونصلي ونسلم على محمد بن عبد الله صادق الوعد الأمين صاحب هذه الرحلة المباركة، والذي رأى فيها من آيات الكبرى، وارض اللهم عن صحابته الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن حدث الإسراء والمعراج من الحوادث العظمى في التاريخ الإسلامي، والتي تستحق منا البحث والتأمل والدراسة، إنها إحدى معجزات الإسلام الكبرى التي سجلها الله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، فقال عز من قائل :(سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[1].

وقال تعالى في سورة النجم :(علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنى فتدنى * فكان قاب قوسين أو أدني *)[2]. وكتب الحديث زاخرة بهذا الحدث تقص علينا تفصيلاته ومشاهده.

إن هذه الحادثة التي تجاوزت كل حد، واخترقت كل ممتنع، تفتح للمسلمين أبواب التأمل، والتدبر، والتفكر فيما وراء المشاهد والمحسوس بعد هذه الأرض، وبعد هذه

[1] سورة الإسراء. آية ، 1
[2] سورة النجم آية رقم 5 - 9

النجوم التي نرى، وبعد الكون كله، حقاً إنها رحلة تملك على المسلمين أفئدتهم للتدبر، وتملك عليهم أبصارهم للتأمل، وتملك عليهم أسماعهم للإنصات لما يقصه علينا رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - من المشاهد والإحداث في هذه الرحلة.

ونحن في الصفحات القادمة، نود أن نتتبع خطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدءاً بمكة وانتهاء بسدرة المنتهى، ثم عوداً إلى مكة المكرمة، لنقف في هذه الرحلة الطويلة المباركة على بعض تلك المشاهد، والمناظر، والإحداث لنشارك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآيات الباهرات لنستخلص منها بعض الدروس والعبر، والتي هي بمثابة النور والزاد للمؤمن على طريق الرحلة الطويلة إلى الآخرة.

ولا بد لنا أثناء هذه الرحلة الطويلة، أن نحط عصا الترحال في بيت المقدس، نكتحل برؤية مسرى رسولنا الحبيب، ونلتمس بقايا خطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على هذه الأرض المباركة التي شرفها الله تعالى بمقدم النبي الكريم إليها، ونلتمس آثار عمر بن الخطاب الذي استلم مفاتحها من الروم الغاصبين، ثم بصمات امين الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح القائد العام لجيش المسلمين عند فتح بيت المقدس- رضي الله عنهما -، وننظر إلى رماد منبر صلاح الدين الأيوبي - رحمه الله -، ونشم عبير بقية صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونعزي قبة الصخرة المشرفة فيما انتابها، وحل بها في هذا القرن من الغربة والضياع، وحتى نعيد إلى أذهاننا قائمة الأبطال، الذين خلدوا صفحات المجد والكرامة على هذه الأرض، والذين طال انتظار الأرض إليهم.

طبيعة هذا البحث

هذا البحث أسميناهّ: تأملات في الإسراء والمعراج، لا يتعدى الوقوف على بعض المشاهد في هذه الرحلة، وتحليلها وذكر ما يستفاد منها، ولست أريد بهذا البحث تقصى كل المشاهد والصور والإحداث في هذه الرحلة، وبيان ما صح مما لم يصح، ولست أريد التعرض للقضايا الخلافية التي خاض فيها المسلمون كثيراً، كقضية رؤية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لربه تبارك وتعالى ليلة الإسراء والمعراج، ولا أود التعرض لمواقف المستشرقين من هذه الرحلة، ولست بصدد رصد مواقف المعادين أو الرد عليها.

أما القضية الأولى وهي قضية تقصي الحقائق ومعرفة الصحيح من السقيم، فهذا مكانه كتب الأحاديث التي تعج بالأحاديث الكثيرة، التي تدور حول الحادثة وهي في الحقيقة بحاجة إلى تحقيق وتنقيب وغربلة، حتى يستبين الزبد من الماء، وهناك من الأحاديث والروايات ما يشيب منها الولدان من أسانيدها ومتونها، والله تعالى نسأل أن يهيئ من إخواننا العلماء في علم الحديث من يقوم بهذه المهمة[1]، وهناك كتاب لا بد من التنويه إليه وهو ما يسمى بإسراء بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وهو كتاب مكذوب على ابن عباس، وهو مليء بالأكاذيب، والأباطيل، ولا أقول: كل ما فيه باطل لا أصل له، بل فيه الصحيح والحسن، والكثير منه منكر لا أصل له، أما قضية رؤية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لربه تبارك وتعالى، فهذه مسألة خاض فيها جهابذة العلماء ومكانها كتب العقائد، والتفاسير، وذلك عند التعرض لسورة النجم عند قول الله عز وجل:(ثم دنى فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة

[1] صدر كتيب في هذا الموضوع للمرحوم الشيخ الألباني بين فيه الصحيح من غير الصحيح في هذا الموضوع

أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى)[1]،وليس مكانها هذا البحث، لأنني كما ذكرت أود في هذا البحث الوقوف على بعض المشاهد الثابتة، وليس على المشاهد المختلف فيها أو التي لم تثبت أصلا.

أما القضية الثالثة وهي قضية الاستشراق، وأهل الأهواء الذين طمس على قلوبهم، فهذه الحادثة وهي حادثة الإسراء والمعراج كما هو معلوم لم تكن غايتها إقامة الحجة على الكافرين، لأن المعجزة التي غرضها إقامة الحجة على الخصم، لا بد أن يلامسها الخصم، أو يشاهدها حتى يرى فيها حجة وبرهاناً يصلح لذلك أما حادثة الإسراء والمعراج، فلم يرها من البشر أحد غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم إن المشاهد التي عرضت للرسول - صلى الله عليه وسلم -لم يرافقه فيها أحد من الخصم حتى يفحم بها.

وإذا كان عرض المعجزات هو: استقطاب عناصر جديدة عن طريق إقامة الحجة عليهم، فإن حادثة الإسراء والمعراج، كانت على العكس من ذلك تماماً، فلقد أرتد بهذه الحادثة، أو بعدها أو بسببها ممن كان يصلي خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعن بن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول (ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فأخبر أنه أسري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه)[2].

فحادثة الإسراء والمعراج لم تكن موجهة إلى أصحاب الموازين المعتولة لتقويمها، أو القلوب المغلقة لفتحها، ولا إلى العميان الذين لا تتجاوز أبصارهم مواقع أقدامهم لتوسيع مجال الرؤية عندهم، فهذا قائم في غير هذه المعجزة، إنما كانت هذه الرحلة تكريمية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهي موجهة لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ومن شاكله من المؤمنين الصادقين المصدقين بكل ما يأتي به

[1] سورة النجم ، آية، 8_15 .
[2] رواه البيهقي

الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذين يقولون لكل شيء يسمعونه من الرسول - صلى الله عليه وسلم: سمعنا وأطعنا، ونحن لا نريد من هذا تعطيل العقل وعدم التفكير فيما يأتي به الرسول - صلى الله عليه وسلم - معاذ الله أن يكون الأمر كذلك - ولكن حادثة الإسراء والمعراج فوق التصور البشري، وفوق طاقة العقل البشري كذلك، وإن استعمال العقل فيها يعني التسليم بها، وإن الذين ينكرون هذه الرحلة ويشككون فيها ويكذبونها هم الذين يعطلون عقولهم.

ونحن نسلم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكل أمر لأن الله تعالى أيده بما تقوم به الحجة علينا، أيده بالقرآن الكريم الذي تحدى به الجن والإنس، فعجزوا عن الإتيان بمثله، وأيده بالمعجزات الأخرى الكثيرة، والتي وصلت إلينا بالتواتر، فإن عجزت البشرية أمام هذه المعجزات - وقد عجزت بالفعل - والتي أولها القرآن الكريم، فلا بد أن تسلم بنبوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فإن سلمت البشرية بذلك، فلا بد أن تسلم أن ما يأتي به الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الحق المبين بما في ذلك رحلة الإسراء والمعراج، لأن القرآن الكريم الذي أقام الحجة علينا أمام الله تعالى، جاء فيه قوله عز وجل في حق الرسول صلى الله عليه وسلم: (وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحي *)[1]. وشاء الله عز وجل أن تكون هاتان الآيتان قبل الآيات التي تتكلم عن الإسراء والمعراج مباشرة، ثم إن حادثة الإسراء والمعراج هي جزء من المعجزة الكبرى، وهو القرآن الكريم الذي خلد هذه المعجزة بذكرها في أكثر من موطن في صفحاته، فمن الذي يعطل عقله إذاً ؟ الذي استسلم لحجة الله على خلقه، أم الذين جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا، فلم يؤمنوا بشيء من القرآن بما في ذلك حادثة الإسراء والمعراج.

[1] سورة النجم ، آية ، 3- 4

فموقف المضلين من مشككين ومستشرقين لن يكون أفضل من موقف أبـي جهل، ومن شاكله من مشركي مكة بعد الرحلة، الذين استغلوا هذه الحادثة لصد الناس عن سبيل الله، والطعن في مصداقية الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

ونحن نقدم هذا البحث المتواضع، آملين من الله العلي القدير أن يجعلـه فـي ميـزان أعمالنا يوم القيامة، يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتى الله بقلب سليم، كما ونرجو أن يكون زاداً لكل من يرجو السعادة لنفسه ولهذه الأمة.

تمهيد

المعجزة

المعجزة:

هي أمر خارق للعادة يجريه الله عز وجل على يدي رسول أو نبي من أنبيائه، حتى تكون دليلاً على صحة رسالته، وقيل المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.

وما من نبي بعثه الله عز وجل، إلا وقد أجرى على يديه معجزة أو معجزات، لإقامة الحجة على قومه الذين بعثه الله فيهم وقطع الطريق على كل دعي يريد أن يدعي النبوة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً يوم القيامة[1].

أنواع المعجزة

1) المعجزة الحسية: وهي المعجزة التي تنتهي بانتهائها، ويكاد ينحصر أثرها فيمن يلمسها أو يراها أو يعاصرها، كعصا موسى مثلاً، وناقة صالح، فإن هذه المعجزات كانت محدودة الأثر، زماناً ومكاناً، والمعجزات التي أيد الله بها الأنبياء عليهم السلام كلها من هذا القبيل باستثناء معجزة الإسلام الخالدة، والتي تتمثل بالقرآن الكريم.

2) المعجز العقلية والمعنوية: وهي معجز القرآن الكريم، وهي معجزة خالدة لا يحدها زمان ولا مكان، بل هي قائمة إلى يوم الدين، وانفرد الإسلام عن غيره من الديانات بهذه المعجزة لميزات في الإسلام، امتاز بها عن غيره من الشرائع، فالشريعة الإسلامية جاءت شاملة من حيث المكان للناس كافة، ومن حيث الزمان

[1] رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة

إلى يوم القيامة، بخلاف الشرائع السماوية الأخرى، التي كانت محدودة في الزمان والمكان، والتي كانت تستبدل بين الحين والآخر، ولقد امتدت إليها يد التحريف والعبث والتغيير، لحكمة أرادها الله - عز وجل - بخلاف شريعة الإسلام، التي تخاطب كل الناس في كل عصر ومصر، فلا بد أن تبقى على حالها دون تغيير، أو تبديل، فكانت المعجزة تكمن في لفظ القرآن الكريم، الذي تعهد الله بحفظه كما نزل، قال الله تعلى:(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[1].

ومعجزات الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيرة منها وأعظمها القرآن الكريم، هذه المعجزة التي تحدى الله بها الجن والإنس فعجزوا عن الإتيان بمثلها، وأما المعجزات الأخرى فهي معجزات حسية من النوع الأول، ومن هذه المعجزات: نبع الماء من بين أصابعه الشريفة - صلى الله عليه وسلم - كما جاء في رواية بن مسعود التي أخرجها البخاري، قال بن مسعود - رضي الله عنه -: (كنا نعد الآيات البركة، وانتم تعدونها تخويفاً). ثم قال: (لقد رأيت الماء ينبع من أصابع الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل).

ومنها حنين النخلة الذي ثبت بالتواتر كما قال الكتاني صاحب كتاب نظم التناثر في الحديث المتواتر، ومنها الضب الذي شهد بنبوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنها البركة في الطعام القليل الذي كان يكفي المئات من الصحابة مع أنه لا يكفي في ميزان المادة إلا لخمسة أو عشرة على الأكثر، ومن أراد الاستزادة من هذا الباب فعليه بصحيح البخاري كتاب الإيمان.

ومن اعظم المعجزات الحسية للرسول - صلى الله عليه وسلم - هي معجز الإسراء والمعراج، وهي حقاً من المعجزات الكبرى التي بزت ما قبلها من المعجزات، التي جرت على أيدي الأنبياء - عليهم السلام - هذه المعجزة التي رحل

[1] سورة الحجر،آية9 .

فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى بيت المقدس، ثم اخترق سبع سماوات طباقا، ثم تجاوز ذلك إلى سدرة المنتهى، حيث جنة المأوى، ليصل هناك إلى مكان لا يصل إليه نبي، ثم يعود إلى مكة في نفس الليلة، بعد أن رأى من آيات ربه الكبرى، إن هذه الرحلة الطويلة في مسلكها طولاً لا يعلمه إلا الله - سبحانه وتعالى - والقصيرة في زمنها قصرا يزيد في الإعجاز إعجازاً، وهي أيضا في مسالكها الأرضية، من مكة إلى فلسطين، والسماوية من بيت المقدس إلى سدرة المنتهى، ثم العودة إلى مكة المكرمة، لتنطوي على كثير من الدروس، والعظات، والمنافع التي تفيد المسلمين في رحلة الحياة إلى الآخرة، كما تنفعهم يوم البعث والنشور.

شاء الله أن تكتب هذه السطور في زمن ضاعت فيه أرض الإسراء والمعراج، الأرض التي أسري برسول الله إليها وجمع له الأنبياء - عليهم السلام – على أرضها حتى يقتدوا برسول - صلى الله عليه وسلم- في صلاة أمامها سيد البشرية محمد - صلى الله عليه وسلم - وفي زمن ضاق المجرمون ذرعا بأتباع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتعرضوا لبعض ما تعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الأذى، والعذاب، والتكذيب، والتضييق، والمحن، فكانت حادثة الإسراء والمعراج بالنسبة للرسول - صلى الله عليه - في زمانها المناسب.

فالله نسأل أن يكون الفرج قريباً لهذه الأمة، ولأتباع محمد- صلى الله عليه وسلم - بعد أن استحكمت حلقات الضيق من كل جهة، قال الشافعي رحمه الله:

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج[1]

[1] ديوان الشافعي

إن عظم هذه الحادثة يأتي في كونها معجزة خالدة بل من أعظم المعجزات الحسية التي أوتيها الأنبياء، هذه الرحلة التي جمعت بين أقدس مقدسات المسلمين مكة وبيت المقدس، جمعت بين خير البشر محمد وخير الملائكة جبريل، جمعت بين الأرض والسماء، وبين السماء وسدرة المنهتى عندها جنة المأوى، وجمعت بين مشاهد من الجنة ومشاهد من النار... الخ

فمهما كتب فيها ومهما استخلص منها من الدروس والعبر، فلا يمكن الإحاطة بها في كتاب أو كتب فهي فوق المقدور البشري، من حيث الإحاطة بكل ما جاء فيها ولكنها محاولة، نتأمل فيها بعض المشاهد، والآيات الكبرى التي رآها صاحب الإسراء والمعراج - عليه الصلاة والسلام- ونتوقف فيها عند بعض الآيات الكبرى التي شاهدها الرسول الكريم، وبعض الأحداث التي وقعت معه، وبعض الاستفسارات التي أجابه بها جبريل- عليه السلام- وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول

المبحث الأول

بين يدي الرحلة

جاءت حادثة الإسراء والمعراج تسرية عن قلب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وتعزية ومواساة له فيما أصابه من أذى المشركين وتكذيبهم له وتعذيبهم لأصحابه، في الظروف العصيبة التي فقد فيها عمه أبا طالب الذي كان سنداً يذب عنه بسم القرابة والعصبية، وكذلك فقده لزوجته خديجة التي كانت وزير صدق لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- تواسيه إذا اشتد الخطب، وتسري عن قلبه في الملمات - رضي الله عنها -.

فحادثة الإسراء والمعراج هي: ثمرة العناء الطويل الذي واجهه الرسول- صلى الله عليه وسلم - ثمرة الصبر والثبات، وتحمل الأذى في سبيل الله، والإصرار على مواصلة طريق النبوة في تبليغ دعوة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة على كل الناس، وإرشادهم لما فيه خير الدنيا والآخرة.

وإن الذي سرى عن قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد طول العناء والشدة والتكذيب من قومه فسرى عنه بهذه الرحلة المباركة، وما رأى فيها من آيات ربه الكبرى، وما لقي فيها من الحفاوة والتكريم! لا بد أن يسري عن قلوب المؤمنين، وذلك بعد تحمل العناء والمشقة في سبيل الله، وبعد الإصرار على مواصلة الطريق التي شقها رسول الله وبين معالمها، ففي حادثة الإسراء والمعراج أمل وبشرى لكل المستضعفين في الأرض من المؤمنين الذين حملوا الراية من بعد رسول الله، وتحدوا بها الجاهلية الجهلاء، وتحملوا في سبيل ذلك ولم يغيروا ولم يبدلوا، فوقع لهم من الأذى ما وقع لرسول الله وأصحابه، وهم كثر في هذا الزمان الذي تكالبت فيه الجاهلية كلها على أتباع رسول الله، حتى رمتنا عن قوس واحدة.

ولا أقول: أن التسرية تكون بالإسراء والمعراج، فإن ذلك خاص بالرسول - صلى الله عليه وسلم – وذلك معجزة ولا تكون المعجزات إلا للأنبياء، وإنما تكون التسرية بالغلبة على الخصوم والمناوئين وكسر شوكة الجاهلية أمام أولياء الله، وتكون بإظهار الحق على الباطل، وإظهار الإسلام على الدين كله، وتكون التثبيت والتمكين في الأرض، كما تكون برفع البلاء والشدة والمعاناة والاستضعاف عن المؤمنين، وتكون باتخاذ المؤمنين الصادقين شهداء.

لقد جاءت رحلة الإسراء والمعراج في زمن بلغ في الأذى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حداً لا يوصف، فمشرك مكذب، وآخر يتربص برسول - صلى الله عليه - الدوائر وثالث يفتعل الأراجيف والأباطيل حول هذا الدين الجديد ورابع يضع سلا الجزور على رأس رسول الله- صلى الله عليه وسلم - الشريفة وهو قائم يصلي، وخامس يقتل ويعذب أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم - الذين اضطروا إلى الهجرة،وترك وطنهم أكثر من مرة، ولا تنسى أن الرحلة جاءت بعد أن مات سند رسول الله - صلى الله عليه - وهو عمه أبو طالب الذي كان الصخرة المنيعة التي تحطمت عليها كبرياء المجرمين، والسفهاء من قريش عند محاولة النيل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأي أذى أو سوء، كان يحفظه بدافع العصبية، كما يحفظ أولاده، فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من - صلى الله عليه وسلم - من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياته، وفي الحديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال:(ما نالت قريش مني شيئا اكرهه حتى مات أبو طالب) قال ابن إسحاق إن خديجة بنت خويلد_وأبا طالب هلكا في عام واحد، وبهلك عمه أبي طالب، وكان له عضدا وحرزا في أمره، ومنعة وناصرا على قومه، وذلك قبل مهاجره إلى المدينة بثلاث سنين. فلما هلك أبو طالب، نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش، فنثر على

رأسه ترابا قال ابن إسحاق: فحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير، قال: لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها: لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك. قال: ويقول بين ذلك: (ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب)[1]

وفي العام الذي مات فيه أبو طالب ماتت كذلك خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها وأرضاها - التي كانت تصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا كذبه الناس، وتواسيه إذا شمت به الأعداء، وتحيطه بحنانها إذا تكالب عليه السفهاء بالأذى والتكذيب والعناد، قال ابن إسحاق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها[2].

ففي هذه الأحوال المعسرة، وفي هذه الظروف الصعبة ،حيث لم يكتف المشركون بتكذيب رسول - صلى الله عليه وسلم - وصد الناس من حوله، بل تكالبوا عليه ليقتلوه ويقضوا على الدين الجديد الذي جاء به، فكانت رحلة الإسراء والمعراج في هذه الظروف والأحوال تسرية عن قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعن قلوب أصحابه - رضي الله عنهم - وعن قلوب المؤمنين في كل زمن، كما أنها تعزية للمؤمنين جميعا في كل مصاب، وفي كل محنه تنتابهم إلى يوم القيامة.

في هذه الظروف جاءت رحلة الإسراء والمعراج ،تقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: إذا كذبك المشركون وكفروا بك وبما جئت به، فهاهم الأنبياء في بيت المقدس قد اجتمعوا يعلنون أيمانهم وتصديقهم وإقتداءهم بك، ها أنت تستبدل الذي

[1] سيرة ابن هشام
[2] سيرة ابن هشام

هو خير بالذي هو أدنى، وها هي كل سماء تحشد وجهاءها ومقربيها، تكريما واحتفاء بك يا محمد، ثم ها هي سدرة المنتهى عندها جنة المأوى تتهيأ لاستقبالك.

ولئن ضاقت بك أرض مكة فها هي أرض فلسطين تحتضنك، ولئن ضاقت بك الأرض كل الأرض، فها هي السماوات السبع تفتح أبوابها احتفاء وتكريما لك يا رسول الله، ثم ها هي الجنة ترحب بك، فلا تبالي بالمصاب، ولا تبالي بالخصوم، ولا تفتر في مواجهة الباطل، فإن بقاء الحال من المحال فقد قضت حكمة الله عز وجل (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا)[1] ولن يغلب عسر يسرين.

وإن كل شدة لا بد وأن يتبعها فرج ومخرج، وأن الله لا يتخلى عن أوليائه ساعة المحنة، ولا يسلمهم أبداً، كيف يكون ذلك؟ وهو القائل:

(إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)[2]

وهو القائل:

(إن الله يدافع عن الذين آمنوا)[3]

وقال أيضا :

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا)[4]

وقال تعالى:

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز)[5]

وهذه المعية الربانية وهذا العون الإلهي، بارز في سير الأنبياء والصالحين، فهذا إبراهيم - عليه السلام - الذي أعلن عبوديته لله - عز وجل - وكفر بكل الطواغيت، وبكل الإلهة المزيفة من دون الله- عز وجل - فما كادت عقيدة التوحيد تستقر في قلبه، حتى اصبح حرباً على الوثنية والجاهلية، بكل أشكالها وأبعادها، فما كان من

---

[1] الشرح
[2] سورة النحل ، آية 128.
[3] سورة الحج ، آية 38 .
[4] سورة غافر ، آية 51 .
[5] سورة المجادلة ، آية 21 .

الطواغيت إلا أن سارعوا لنصرة آلهتهم، فجمعوا الحطب وأشعلوا النار، والقوا بنبي الله في وسطها، لكن الله مع الذين اتقوا:

(قلنا يا نار كوني برداً وسلاما على إبراهيم * فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين)[1]

وهذا موسى - عليه السلام - رافقته يد العناية الربانية طفلاً رضيعاً تتقاذفه أمواج البحر، ثم سخر الله له كنف فرعون الملكي، ليعيش حياة النعمة والترف في قصر أعتى الطغاة، في ظل أعدى أعدائه، إلى أن بلغ أشده، ثم نجاه الله من فرعون، بعد أن قتل رجلاً من الأقباط، ثم هداه الله إلى الرجل الصالح شعيب، ليحتضنه من جديد ويوفر له الحضن الدافئ والحياة الآمنة، والعيش الرغيد، الذي قضى عنده سنوات، ثم عاد ليصطفيه الله برسالته وكتبه وتكليمه، ثم جاءت الجولة الحاسمة مع فرعون الطاغية، وكيف أن الله أهلك فرعون الطاغية، ومن معه من المجرمين ونجى موسى ومن معه.

يقول الله تعالى في ذلك:

(ولقد مننا عليك مره أخرى، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم، فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له، وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني، إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى، واصطنعتك لنفسي)[2].

والآيات في هذا الباب كثيرة.

ورسولنا - صلى الله عليه وسلم - لا يقل عن ذلك حظا ونصيبا من حفظ الله ورعاية - عز وجل - فهو خاتم الأنبياء وإمامهم، فلا بد أن يكون من أوفرهم حظا في هذه

---

[1] سورة الأنبياء ،آية 69 - 70 .

[2] سورة طه ، آية37 - 41 .

الرعاية الربانية، ولا بد أن تكون أمته التي لا تنحصر في زمان أو مكان،لا بد أن تكون أوفر الأمم حظا في هذه المعية الإلهية.

لقد عاش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بلد الشرك والأوثان، بلد الخمر والمجون واللهو والعبث، فعصمه الله - عز وجل - من كل هذه الخبائث ومن كل هذه الشوائب فلم يسجد - صلى الله عليه وسلم - لغير الله ولا ينبغي له ولم يشرب خمرا، ولم يله ولم يعبث كما كان شباب مكة في سنه، لقد أكرمه الله عز وجل بخصال حميدة فهو الصادق الأمين، لم يعهد منه خيانة أو كذب أو خفة، لقد كان مهيئا ومنذ صغره لحمل رسالة الإسلام العظيم.

ومظاهر هذه العناية واضحة لهذا النبي الكريم بعد البعثة، كيف وأن الله سخر له عمه أبا طالب، يمنعه ولا يسلمه باسم القرابة والعصبية في سنوات الدعوة الأولى، حتى هلك أبو طالب، وكيف إن الله عصمه من المشركين بعد ذلك إلى أن هاجر إلى المدينة المنورة، وأعمى المشركين عنه ليلة الهجرة، عندما اجتمعوا من حول البيت الذي كان فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليقتلوه ثم حفظه الله - تعالى - هو وصاحبه في غار ثور، وكيف كان موقفه من سراقة بن مالك ؟ الذي لحق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في طريقه إلى المدينة المنورة، وهو شاهر سيفه لقتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليحظى بجائزة قريش.

وهاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي سنين قلائل بنى دولة الإسلام العظمى، التي بلغت مشارق الأرض ومغاربها، وحطمت اكبر دولتين في العالم آنذاك ،دولة الفرس، ودولة الروم كل ذلك فيما لا يزيد عن خمس عشرة سنة.

إنها رعاية الله لرسول - الله صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المؤمنين الصالحين، ولا يظن ظان أن هذه المعية خاصة برسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو بالأنبياء، بل هي عامة بكل الصالحين في كل زمن وفي كل حين، مع أن الأنبياء اكثر الناس حظا بهذه الرعاية وهذه المعية.

يقول الله عز وجل:

(إن الله يدافع عن الذين آمنوا)[1]

وقال تعالى:

(إن الله مع اتقوا والذين هم محسنون)[2]

فما ظنكم يا دعاة الإسلام، يا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - بأمة معها الله - عز وجل - فهل نخشى قوى الكفر والضلال أنى عظمت، وأنى كانت ونحن في حفظ الله ورعايته، إن هذه العقيدة إذا استقرت في نفوس الدعاة فلا خوف ولا وجل، بل إن هذه العقيدة هي مطية الشجاعة والإقدام، كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -الذي لم يكن يبالي إلا بغضب الله عز وجل: (اللهم إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي)، فواجب الداعية أن يؤدي واجبه تجاه الله كاملاً، دون تلكؤ أو وجل، وهو بدوره ليس مسئولا عن النتائج فهي بيد الله - عز وجل - فنحن مطالبون بالعمل دون النتائج وقال تعالى:

(قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[3]

فرحلة الإسراء والمعراج إذا كانت شحذا لهمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتكريما له بثباته وصبره أمام قوى الشرك والكفر، فهي ثمرة العناء، ثمرة التحمل في سبيل الله، ثمرة الصمود والإصرار في مواجهة الباطل، وهو بذلك يرسم لنا الطريق، ويخط لنا السبيل، ويحدد المعالم للسالكين من بعده إلى يوم الدين.

فإذا أراد دعاة الإسلام اليوم أن يصلوا إلى بر الأمان، وإلى بوابة الفرج، إذا أرادوا أن يجنوا ثمار المحنة، والبلاء الذي يواجههم، فلا بد من الصبر والمصابرة والثبات

[1] سورة الحج ، آية 38 .
[2] سورة النحل ، آية 128 .
[3] سورة التوبة ، آية 105.

إلى النهاية، جاء في رواية الإمام أحمد - رحمه الله - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

(وأعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)[1]

وأن الله قضى قضاء لا يرد، فقال:

(فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا)[2] ولن يغلب عسر يسرين.

[1] الحديث عن ابن عباس قال:كنت رديف النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا غلام – أو يا غليم - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، و اعلم أن في الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، و أن مع العسر يسرا .

الراوي: عبدالله بن عباس المحدث :ابن رجب - المصدر: نور الاقتباس - الصفحة أو الرقم: 91/3

خلاصة حكم المحدث :إسناده حسن لا بأس به

[2] سورة الشرح ، آية 5-6

المبحث الثاني

الزاد لهذه الرحلة العظيمة

في الحديث الصحيح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال:
(جاءني جبريل ليلاً في ليلة الإسراء المعراج، فاقتادني إلى ماء زمزم، وهناك شق بطني وصدري وكان معه إناء من ماء مليء بالحكمة، والإيمان، فصبه في قلبي بعد غسله)[1]

وهذه تعتبر عملية الشق الثانية لصدر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أما الأولى فقد كانت في صغر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما كان عند حليمة السعدية، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - "أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آتاه جبريل - عليه الصلاة والسلام - وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، وصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال:(هذا حظ الشيطان منك) ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه،" قال أنس وقد كنت أرى ذلك المخيط في صدره)[2]

كانت هذه الحادثة وعمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أربع سنوات، أي قبل سن التمييز، ومن نعومة أظفاره، ليكون أهلاً لحمل رسالة الإسلام، وحتى يكون ومنذ الصغر ربانيا خالصا لوجه الله - عز وجل- وليكون معصوما مترفعا عن كل ما لا يليق بمقام النبوة ومنذ الصغر، وحتى يتمتع بأسبقيات طيبة، وأخلاق حميدة، وماضي نظيف قبل البعثة، لأن ماضي الإنسان له أثر في استجابة الناس إلى دعوته إيجاباً أو سلباً،

هذه بعض من رعاية الله لهذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم .

---

[1] رواه البخاري ، ومسلم ، والإمام أحمد ، من رواية أنس بن مالك .
[2] رواه الإمام مسلم.

أما الحادثة الثانية لشق الصدر، فهي التي جاءت قبل الإسراء والمعراج مباشرة! فماذا وراء هذه الحادثة ؟.

نحن نعلم: أن رحلة الإسراء والمعراج كانت رحلة إلى الدرجات العلى، رحلة إلى المنزلة الكريمة، والدرجة الرفيعة، رحلة إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، فلم تحصل هذه الرحلة العلوية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا بعد شق الصدر، وغسل القلب وملئه بالإيمان والحكمة.

للتأكيد على أن كل مرتحل أو مسافر، لا بد له من زاد يتزود به في رحلته طويلة كانت أو قصيرة، فهذا نبينا - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة المتناهية في الطول الذي لا يعلم مداه إلا الله عز وجل، لا بد لهذه الرحلة من زاد، فكان زاده كما علمت هو الإيمان، والحكمة، هذا هو الزاد لكل مرتحل إلى هناك إلى سدرة المنتهى إلى جنة المأوى، هذا هو الزاد لكل من يريد الدرجات العلى، هذا هو الزاد لكل من يحنو إلى جنة المأوى، إلى سدرة المنتهى، هذا هو زاد التقرب إلى مرضات الله- عز وجل -، هذا هو الزاد لكل من أراد أن يرى من آيات ربه الكبرى، إنه الإيمان الكامل الذي لا نقص فيه، إنه الإيمان التام الذي لا ريب فيه ولا شك، إنها الحكمة التي تضع كل أمر في نصابه، إنه الزاد إلى الله عز وجل، وهو سلامة القلوب وطهارتها ونقاؤها واستنارتها بنور الله - عز وجل -، لقد علمتنا هذه الحادثة وغيرها أن: الدرجات العلى، وحسن العاقبة، إنما تنال بصلاح القلوب، ونقائها وطهارتها، وانقيادها لله عز وجل، إذ قال الله - عز وجل -:

(يوم لا ينفع مال ولا وبنون * إلا من أتى الله بقلب سليم)[1]

سليم من ران الذنوب والآثام، سليم من النفاق، سليم من الكبر والحقد والحسد وبقية أمراض القلوب.

[1] سورة الشعراء ، آية 88-89.

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم :(لا يدخل الجنة، من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[1]

فالله عز وجل ينظر إلى صفحات القلوب كما جاء في الحديث :(إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى اشكالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم)[2]

فالقلب في علم الله بمثابة السجل، من خلاله تنكشف حال الإنسان صالحاً كان أو غير ذلك.

فإذا رحل الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج، إلى سدرة المنتهى، فنحن جميعاً مرتحلون إلى الله - عز وجل - لا محالة، وعائدون إليه.

قال تعالى:

(إلا إلى الله تصير الأمور)[3]

(ثم إلى ربكم ترجعون)[4]

فإذا كان الذي رحل إلى سدرة المنتهى، رحلة العائد لا رحلة المقيم، كان لا بد له من إيمان وحكمة، وغسيل قلب، كيف بنا نحن في رحلتنا إلى الله عز وجل رحلة اللا عودة؟ بل رحلة الديمومة والخلود، رحلة غير متناهية وغير محدودة، ألا نحتاج فيها إلى زاد يبلغنا هناك ويكفينا مدة الإقامة هناك، ألا نحتاج إلى زاد الإيمان وزاد الحكمة ؟ إلا نحتاج إلى طهارة القلوب وصحتها؟.

ثم إن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - رحل رحلته هذه في الدنيا ثم عاد إلى الدنيا، وما مكث سوى بعض ليلة، أما نحن إنما نرحل رحيل الإقامة هناك،

---

[1] رواه الإمام مسلم .
[2] متفق عليه
[3] سورة الشورى ، آية 53 .
[4] سورة الجاثية ، آية 15.

رحيل اللا عودة، فالذي رحل وعاد كان لا بد له من تمام الزاد، فمن يرحل بلا معاد أحوج إلى الزاد الأتم الأكمل.

أخي المسلم عليك بهذا القلب، الذي هو جسر العبور إلى السعادة في الدنيا والآخرة، قنطرة الوصول إلى رحمة الله، ورضوانه، ودخول جنته.

عن النعمان بن بشير- رضي الله - قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -:(إلا إن في الجسد مضغة، إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت، فسد الجسد كله، إلا وهي القلب)[1].

فأوصل القلب بنور خالقه، فإن القلب الذي ينقطع عن نور الله سرعان ما يصاب بالموت والعمى:

(فإنها لا تعمى الإبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[2]

(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)[3]

إن القلب الذي ينحجب اليوم عن نور الله فإنه محجوب عن الله يوم القيامة، وعن نعيمه وجنته.

وأعلم أن صفاء القلوب وجلاءها هو: بدوام ذكر الله - عز وجل-:

(إلا بذكر الله تطمئن القلوب)[4]

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)[5]

ثم قراءة القرآن الكريم، وتدبره والعمل به، فالقرآن نور القلوب وشفاؤها من كل شائبة:

---

[1] متفق عليه .
[2] سورة الحج ، آية 47 .
[3] سورة المطففين آية 14 - 15 .
[4] سورة الرعد ، آية 25 .
[5] سورة الأنفال ، آية 2.

قال تعالى:

(ولكن جعلنا نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا)[1].

ثم لا بد من ترك الذنوب والآثام ، قال الحسن البصري - رضي الله عنه - :" الذنوب هي الران الذي يعمي القلوب حتى تموت "[2].

ثم تعظيم شعائر الله (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)[3].

[1] سورة الشورى ، آية 52 .
[2] مختصر ابن كثير ،ج 3 ص 613 .
[3] سورة الحج ، آية 32 .

المبحث الثالث:

المطلب الأول

كانت الرحلة في جوف الليل

كانت رحلة الإسراء والمعراج في ظلمة الليل، حيث سكون الكائنات، وغفلة المخلوقات، وهكذا تكون كل خلوة مع الله - عز وجل - هكذا تكون كل مناجاة، هكذا تكون كل رحلة روحية في جوف الليل الساكن، تتجه فيه القلوب إلى خالقها تبحث عن النور الحقيقي.

كان الرحلة في الليل، حيث القرب الإلهي لكل قلب قانت منيب، لكل قلب موصول بالله - عز وجل- جاء في الحديث عن عمرو بن عنبسة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:(اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة، فكن)[1]

فمن كان قلبه معلقاً بالله، مشغولاً بحبه، مملوءا بعظمته، لابد أن يستغل هذا القرب الإلهي الكريم، يستمد منه القوة والمعونة، والطمأنينة، وهدأت البال، وفي الحديث عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(ينزل ربنا - تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخر، يقول: من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[2].

[1] رواه الإمام الترمذي ، وقال : حسن صحيح غريب .
[2] رواه البخاري ومسلم، وقال بعضهم: أنه متواتر .

ولقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيراً ما يخلو في تلك اللحظات، يناجي ربه - تبارك وتعالى - والناس نيام، إذ جاء في الحديث الصحيح:(أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه)[1]

مستجيباً بذلك لنداء الله - تبارك تعالى:

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)[2]

ولقد كان قيام الليل فريضة على المسلمين، وعلى رسولهم - صلى الله عليه وسلم - في بداية الأمر، كما جاء في الحديث: عن هشام بن عامر قال: قلت لعائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - يا أم المؤمنين: أنبئيني عن قيام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: قالت: ألست تقرأ قول الله - عز وجل -: (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا) قلت: بلى، قالت: فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله - صلى عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم جمعياً - حولاً كاملاً حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً، ثم انزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعاً من بعد الفريضة)[3]

لقد كان ذلك صقلاً للقلوب، وتزكية للنفوس وترويضا لها حتى تتهيأ لحمل رسالة الإسلام العظمى، لحمل نور الله لبقية شعوب الأرض، وحتى تكون حقاً وبدون منازع خير أمة أخرجت للناس، وإن أمة الإسلام في هذا الزمن إذا كانت تريد أن تتبوأ مكانتها من جديد بين الشعوب والأمم ، أو تريد أن تستأنف الحياة الإسلامية من جديد، وتنهض بهذا الدين، لا بد أن يكون لها حظ كبير من الخلوة مع الله - عز وجل - في جوف الليل، ولا بد من إنارة القلوب في ظلمة الليل، لا بد أن تصهر في

---

[1] رواه البخاري ومسلم .
[2] سورة الإسراء ، آية 79 .
[3] رواه الإمام أحمد ومسلم .

بوتقة الليل، وتربى على أعتاب الخلوة مع الله، وتهذب في رحاب الليل في جو الإخلاص بعيدا عن الرياء.

ودعاة اليوم كم هم بحاجة إلى هذه الخلوات؟ كم هم في حاجة إلى تطهير القلوب وإحيائها؟ حتى تنبعث فيها روح الإسلام من جديد، كما بعثت بادئ ذي بدء في قلوب المؤمنين، بقيادة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

لقد مدح الله المؤمنين الصادقين، الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، الذين تنبض قلوبهم بالوحدانية في كل حين من ليل أو نهار، الذين قال الله فيهم :

(آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين، كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون)[1]

والخلوة بالليل ابعد ما تكون عن الرياء والسمعة، وأبعد ما تكون عن الهوى والشهرة، تكون خالصة لله - عز وجل - إذ لا يطلع على العبد في تلك الساعة، إلا الله الذي يعلم السر وأخفى، إن مناجاة الليل تكسب القلب نوراً وصفاءً، ما لا يجده في مناجاة النهار.

المطلب الثاني:

كانت الرحلة ليلاً لأنها لم تكن للتحدي

كانت رحلة الإسراء والمعراج، ليلاً في غياب الناس، لنعلم أن رحلة الإسراء والمعراج كانت تكريماً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم تكن للتحدي، ولا لإقامة الحجة على الخصم المعاند المكابر، إذ لو كان يراد بهذه المعجزة التحدي،

[1] سورة الذاريات ، آية 16 _ 18 .

والإفحام، لكانت الرحلة وسط النهار، والناس ينظرون، حتى يروا تلك المعجزة، حتى يروا البراق، وانطلاق رسول الله فوقه وهو يضع قدمه عند طرفه، بهذه السرعة الهائلة، لكن ذلك لم يحدث فقد وقعت في الليل ولم يرها أحد، فهي إذا ليست للتحدي، كما كان يحصل مع معجزات الأنبياء، التي كان يراد بها إقامة الحجة على الخصم، كعصا موسى-عليه السلام - مثلاً إذ جمع لها الناس في يوم مشهود، ورأوا الآية بأعينهم .

وكثيراً ما كان الناس يدخلون في دين الله أفواجا عند رؤية المعجزة الخارقة، كما جرى مع موسى - عليه السلام - وغيره من الأنبياء.

أما بالنسبة لمعجزة الإسراء والمعراج، فقد كانت على العكس من ذلك تماماً، إذ محَّصت القلوب، وسبرت غور النفوس، فارتد ضعاف الإيمان، لضعف بصيرتهم التي لم تطق سماع الحادثة، واستقبالها، متناسين قوة الله وعظمته الذي، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن، فيكون، أما معجزة الإسلام التي يراد بها التحدي، وإقامة الحجة، فهي تكمن في القرآن الكريم، المعجزة، المعنوية، الخالدة، القائمة ، إلى يوم الدين.

المبحث الرابع

وسيلة النقل في هذه الرحلة

إن رحلة الإسراء والمعراج هي رحلة إلى الدرجات العلى، والمنازل الرفيعة، وهي في حقيقتها معجزة، بكل ما فيها من أحداث، ومشاهد، ومسالك، فالله - عز وجل - قادر على أن تكون هذه الرحلة بغير وسيلة، ولا واسطة، ولا سبب، فلا بد أن يكون فوائد عظيمة، من استخدام البراق لهذه الرحلة المباركة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنها - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(آتيت بالبراق وهو دابة ابيض، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى آتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت ركعتين)[1]

الناس كلهم في رحلة إلى الله - عز وجل - وكل مرتحل إلى الله - عز وجل - ويرجو هنالك المنزلة الرفيعة، في جنة المأوى، لا بد له من براق، فكان براق الإسراء والمعراج دابة دون البغل، وفوق الحمار، والبراق بهذه الصورة خاص برسول الله - صلى الله عليه وسلم – وبالأنبياء من قبله، فما هو براق المرتحلين إلى الله - عز وجل -؟ ما هو براق الموحدين، الذين تتشوق قلوبهم إلى سدرة المنتهى؟ عندها جنة المأوى.

إن البراق إلى الجنة في هذا الزمن، وفي كل زمن، بعد استقرار الإيمان في القلوب وطهارتها من ران الشرك، هو الفئة المؤمنة الصادقة، التي ترفع راية الحق، والتي تعمل في خدمة هذا الدين، وتحمل الناس على دين الله، وتسعى جاهدة لاستئناف الحياة الإسلامية من جديد، بعد أن غاب الإسلام، كنظام حكم، ودستور للحياة، براق اليوم هو جماعة المسلمين التي تسعى لتحقيق العبودية لله لا لأحد

[1] رواه أحمد ومسلم والترمذي، عن شداد بن أوس.

سواه، هذه الفئة التي نالت شرف الإقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - صاحب البراق الأول.

إن وجود هذه الفئة المؤمنة، هو من مستلزمات هذا الدين، وصدق الله تعالى إذ قال:(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)[1]

براق اليوم وكل يوم هو الفئة التي توحدت تحت راية الدين، والتي هي بمثابة سفينة النجاة التي تبحر في بحر الدنيا المتلاطم بأمواجه وفتنه، فمن ركبها نجا إلى بر الأمان، وإلى السعادة والرشاد، ومن تركها أهلكته الأمواج العاتية.

والذي يظن أن الله أراد للمسلمين أن يكونوا أشلاء ممزقين، كل يعبد الله كما يشاء، أفراداً لا تربطهم رابطة، فهو أجهل الناس بالإسلام، وأبعد الناس عن هذا الدين، فالله تعلى لم يقل في كتابه من أول آية إلى آخر آية : يا أيها المؤمن، وإنما كان الخطاب دائماً ينادي المسلمين، على أنهم أمة واحدة، وجسم واحد، لا يقبل التجزئة، أو التبعيض، كما أن الله أمرنا صراحة في كتابه الكريم: أن نرتبط جميعاً بحبل الله، في ظل عقيدة لا إله إلا الله، فقال الله- تعالى-:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[2]

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - القائل:(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[3] وهكذا عاش الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أمة واحدة، كالجسد الواحد، يحزنون بحزن المسلم، ويفرحون بفرحه.

أما الذين يريدون اليوم من هذه الأمة، أن تكون أفرادا لا يربطهم رابط، ولا يجمعهم جامع، كل يصلي على حده، ويصوم على حده، ويمارس شعائره التعبدية وحده، فهؤلاء ينفذون أحلام الاستعمار، وأعداء الإسلام، الذين يتربصون بهذه الأمة

[1] سورة المؤمنين ، آية 52 .
[2] سورة آل عمران ، آية 103 .
[3] رواه البخاري ومسلم

الدوائر، حتى وإن كان أصحاب هذا الفهم، من كبار المشايخ، أو من الذين يزعمون أنهم أقطاب الإسلام، وما أكثر هذه الشاكلة الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم بدهيات الإسلام، فقد تجد أحدهم ذا باع في الفقه، وأحكام الدين، يفتيك في أدق المسائل، ثم غاب عنه جوهر الإسلام، الذي أراد لهذه الأمة، أن تكون كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، وكل مسلم هو عبارة عن لبنة، في هذا البناء العظيم، أما الذين في قلوبهم زيغ فيريدون لها أن تكون لبنات مبعثرة، كل لبنة في واد.

والالتئام في موكب هذا البراق، هو الذي يحدد هوية الإنسان، فإما أن يكون مؤمناً مع المؤمنين، ولبنة من لبنات هذا البناء، الشامخ، وإما مع الجاهلية، في مستنقعاتها الآسنة، وليس هناك حالة وسط، ففي الحديث عن أبى ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[1].

خطب عمرو بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال :(أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين ابعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن)[2]

وقال - صلى الله عليه وسلم -(من مات وليس في عنقه بيعه، مات ميتة جاهلية)[3]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

---

[1] رواه أبو داود

[2] رواه الترمذي بسند صحيح .

[3] رواه الامام أحمد .

قد يحاول بعض العلماء، الذين سبق التنويه إليهم، من علماء السلاطين، أن يجدوا مخرجاً وتأويلاً لهذه النصوص الصريحة الصحيحة، فيقولون إن هذه البيعة إنما تكون للحاكم الموجود بصرف النظر عن حاله،أو انتمائه، أو هويته، فيسقط بذلك الواجب عن المسلمين، أولو كان هذا الحاكم لا يحكم بالقرآن؟ أولو كان هذا الحاكم قد توجته دول الكفر لخدمة مصالحها ؟ أولو كان هذا الحاكم يحارب الإسلام والمسلمين كما كان يحاربه أبو جهل وأبو لهب؟ .

سبحان ربي الذي أراد لهذه الأمة أن تكون طيبة طاهرة، من اكبر لبنة وهي الحاكم، إلى أصغر لبنة فيه وهي أي مسلم من الرعية من لبنات هذا البناء، وصدق الله إذ قال: (المؤمنات والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)[1]

ثم إنه من بدهيات الإسلام أنه: حرم إعطاء الولاء لغير المؤمنين، بشتى إشكالهم وألوانهم.

أولا :- حرم الإسلام إعطاء الولاء لأهل الكتاب، الذين يدينون بدين أصله من عند الله - عز وجل - فقال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم)[2].

فمن يعطي ولاءه لليهود، أو للنصارى فهو منهم، كائن من كان.

ثانياً :- حرم الإسلام إعطاء الولاء والمودة للأقارب، الذين لا يدينون دين الحق، يقول الله - تعالى - :(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون)[3].

وقال تعالى: (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)[4].

---

[1] سورة التوبة آية 71 .
[2] المائدة ، آية 51
[3] التوبة ، آية 23
[4] المجادلة ،آية 22

ثالثاً - حرم الإسلام إعطاء الولاء للكفار مطلقاً، فقال الله تعالى:(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء)[1]

فولاء المؤمنين للمؤمنين، وبيعة المؤمن للإمام المؤمن، الذي يحكم بكتاب الله، والذي يعمل في الرعية بما يرضي الله - عز وجل - فعجباً لمن يجيز ولاء المؤمن لغير المؤمنين، والأعجب من ذلك أن ترى الأمة الإسلامية يقودها حاكم أو حكام يحاربون الإسلام ويحكمون في دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم، كما يهوى الشيطان، ثم نجيز وضعاً كهذا، أو نحاول أن نجد له المبررات، أو نرى بعض المشايخ يحرف له الكلم عن مواضعه، ويلبسهم ثوب الولاية، ويجعل منهم حماة الإسلام، مستجديا بذلك عرضاً زائلاً من أعراض الدنيا (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون)[2].

[1] آل عمران ، آية 28
[2] سورة البقرة ، آية 86

الصحبة في رحلة الإسراء والمعراج

لقد صحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة المباركة، جبريل، عليه الصلاة والسلام - الروح الأمين، أكرم بها من صحبة، خير البشر مع خير الملائكة، وأكرم به من أنيس، وأكرم به من موكب، لقد كان جبريل عليه السلام لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمثابة المرشد، في هذه الرحلة الطويلة والغريبة على رسول الله يجيبه إذا سأل، وقد حدث ذلك مراراً، كما سيأتي، فلقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يرى بعض آيات الله الكبرى، فيسأل عنها جبريل - عليه السلام - لقد كان جبريل - عليه السلام - يقود الرسول- صلى الله عليه وسلم - بأمر الله -عز وجل - إلى حيث يشاء الله، حتى بلغ نهاية الرحلة الطويلة في مسالكها، القصيرة في زمنها.

ما أحوجنا في الحياة الدنيا إلى صحبة صالحة طيبة ! ترشدنا إلى عيوبنا، وتأخذ بأيدينا إلى ما فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة، ما أحوجنا إلى صحبة مؤمنة! حتى تكون لنا بمثابة العيون الساهرة، تذكرنا حين الغفلة، وتقومنا حين الاعوجاج، وتنصحنا حين يحتاج الأمر إلى النصح والإرشاد.

وما أجمل تلك الصورة التي صور بها الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصديق الصالح، إذ قال :(إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة)[1]

بهذه الصورة الصادقة، يصور لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - الجليس الصالح، والصاحب الكريم الطيب، الذي يسعدك بصحبته في كل حين، فأما أن تجد

[1] متفق عليه ،من رواية أبي موسى الأشعري .

منه خلقاً كريماً فاضلاً، أو تسمع منه موعظة مباركة، أو كلمة طيبة، أو ترى منه معروفا يحملك على فعله، فأنت تسعد بصحبته على أي حال.

أما الجليس السوء، والصاحب السفيه، فأنت تشقى بصحبته ما دمت تصاحبه، فإما أن يسمعك غيبة، أو نميمة، أو فسوقا، أو ترى منه خلقاً سيئاً قد يستهويك إليه، أو يزين لك معصية يوقعك فيها.

لذلك نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يولي هذه القضية اهتماماً بالغاً، إذ قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - :(الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)[1]

وعن أبى سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي)[2].

ولقد حذرنا الإسلام من صحبة السفهاء، الذين يستخفون بالدين، ويخوضون في آيات الله - عز وجل - فقال الله - عز وجل - :(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضون في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين)[3].

والمؤمن الصالح يغار على دينه، ويغار على حرمات الله، والسفهاء لا يتورعون عن الخوض في دين الله بالباطل، وأول مراتب النفاق هي: أن يجلس المسلم مجلساً يسمع فيه آيات الله يكفر بها، ويستهزأ بها، ويسكت على هذا، ويبقى جالساً، ولا تأخذه الحمية على دين الله ولا يغضب لله - عز وجل - قال تعالى :(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها، ويستهزأ بها ،فلا تقعدوا

[1] رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .
[2] رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به
[3] الأنعام ، آية 68

معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، إنكم إذا مثلهم، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً)[1]

ونحن في هذا الزمن،الذي قل فيه الوازع الديني، وضعفت فيه القلوب، وأصبحت فيه الدولة لحلف إبليس، وجنده وأعوانه، فقد بات فيه الصديق الصالح من أعظم النعم، ومن أنفس المنح، في هذا الزمن الذي كثر فيه الدعاة على أبواب جهنم، وهم الذين يدعون إلى مبادئ الضلال والإلحاد على أرض الإسلام، ومن المؤسف أنهم من بني جلدتنا، ومن أبناء المسلمين، فعليك أخي بالصالحين الذين يعرفون ربهم، الذين لا تشقى بصحبتهم، فسارع إليهم وذر الذين استحوذ عليهم الشيطان قبل أن يأتي يوم تندم فيه على صحبة الأشرار، وتتمنى صحبة الأخيار ولات حين مناص:(يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا)[2].

ومن أراد أن تستمر صحبته بلا انقطاع في الدنيا والآخرة فعليه بصحبة الأتقياء -:(الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)[3]. وقال تعالى :(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)[4]

---

[1] النساء ، آية 140 .
[2] الفرقان ، آية 27- 29
[3] الزخرف ، آية 27
[4] الكهف 28 .

الفصل الثاني

رسول الله في بيت المقدس

المبحث الأول

المسجد الأقصى وقدسية ما حوله من الأرض:

هو ثاني مسجد بني في الأرض بعد المسجد الحرام فعن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال صلى الله عليه وسلم: "المسجد الحرام" قال: قلت: ثم أي؟ قال:" المسجد الأقصى" قلت كم كان بينهما؟ قال: "أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل، فإن الفضل فيه"[1] قوله: "المسجد الأقصى" يعني مسجد بيت المقدس.

وثبت في صحيح مسلم، عن أبي ذر، قال: سألت رسول الله عن أول مسجد وضع في الأرض، قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاما، ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركتك الصلاة فصل.

روى النسائي بسند صحيح، من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي: أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلاثة، سأل الله حكما يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه)[2]

وإن كان إبراهيم هو الذي بنى الكعبة البيت الحرام كما ثبت في كتاب الله، وأن سليمان هو الذي بنى المسجد الأقصى، فالمراد بهذا أن إبراهيم وسليمان إنما جددا ما كان أسس غيرهما.

---

[1] رواه البخاري

[2] رواه النسائي بسند صحيح

وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة، أن داود ابتدأ ببناء بيت المقدس ثم أوحى الله إليه: أني لأقضي بناءه على يد سليمان، قال ابن الجوزي: فليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، وقال القرضي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما.

وقال الخطابي: يشبه أن يكون المسجد الأقصى أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله، أما داود وسليمان فزادا فيه ووسعا، فأضيف إليهما بناؤه.

قال ابن حجر: وقد رأيت لغيره أن أول من أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام، وقيل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح، وما وقع ممن بعدهم تجديداً كما وقع في الكعبة، فلا غرو أن الأقصى يحمل من القداسة ما يحمله بيت الله الحرام، فهو قبلة المسلمين الأولى، ومسرى النبي، ومعراجه إلى السماء، وفيه تضاعف الصلوات المفروضة إلى خمسمائة ضعف.

مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى:

اختلف أهل العلم في قدر تلك المضاعفة بناء على اختلاف الأحاديث في ذلك والحكم عليها صحة وضعفاً، ونظرهم في الجمع بينها أو الترجيح على النحو التالي:

1- أنها تعدل ألف صلاة, دليل ذلك ما ورد عن ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول الله، أفتنا في بيت المقدس، قال: "أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه بألف صلاة في غيره..."[1]

[1] رواه ابن ماجه 1407, الطبراني في الكبير 20578), قال العراقي: "وأصح طرق أحاديث الصلاة ببيت المقدس أنها بألف صلاة" (طرح التثريب 52/6.

2- أنها تعدل خمسمائة صلاة في غيره

دليله ما ورد عن أبي الدرداء: قال صلى الله عليه وسلم: "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة, وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة"[1]

وقال ابن تيمية: "فقد روي أنها بخمسين صلاة، وقيل بخمسمائة صلاة وهو أشبه"[2].

3- أنها تعدل مائتين وخمسين صلاة، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو، وليوشكن أن يكون للرجل مِثل شطن فرسه (الحبل) من الأرض حيث يَرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعًا"[3]

وهذا هو الراجح في الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، فتكون الصلاة في المسجد الأقصى تعدل مائتين وخمسين صلاة.

4- ومنهم من جعل الصلاة في الأقصى بمئة صلاة، ودليله:(ما رواه أحمد وابن عبد البر في التمهيد، عن الأرقم رضي الله عنه- مرفوعاً-: (والصلاة بمكة خير من ألف صلاة ببيت المقدس)[4].

ومعلوم أن الصلاة في مكة بمئة ألف صلاة.

وقد رجح العراقي: أن الصلاة في بيت المقدس بألف صلاة

---

[1] رواه البزار 4142 وقال: إسناده حسن, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/4: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن.

[2] مجموع الفتاوى 8/27

[3] رواه الحاكم 8553 وصححه ووافقه الذهبي, الطبراني في الأوسط 6983, وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 7/4: رجاله رجال الصحيح.

[4] قال ابن عبد البر : هذا حديث ثابت.

وقال بعض أهل العلم بالجمع بين الأحاديث: إن الله تفضل على عباده بزيادة تفضل منه في مضاعفة الصلاة في المسجد الأقصى درجة فدرجة إلى أن ساواه في الفضيلة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بألف صلاة[1]

وللجمع بين هذه الرواية أن مقدار الأجر في الصلاة في المسجد الأقصى يزيد وينقص، تبعا لحسن أداء الصلاة، فمن صلاها بخشوع وحضور قلب، وأتم ركوعها وسجودها، فأجره ألف صلاة، ومن كان أداؤه دون ذلك، كان أجره دونه، والله أعلم.

ولا يزال المسلمون يحملون له كل معاني القداسة والبركة والتعلق به، فمن أجله حدثت الانتفاضة الثانية في العام 2000م، ثم الانتفاضة الثالثة في هذا العام 2015م، وقدم المرابطون فيه وحوله الدماء الزكية والأرواح الطاهرة، للدفاع عنه، ولا زالوا على أتم الاستعداد والجاهزية لتقديم المزيد في مواجهة العدوان اليهودي على الأقصى، الذين يعملون اليوم على تقسيمه زمانيا ومكانيا مع المسلمين، ليتسنى لهم التفرد به، وهدمه، وبناء هيكلهم المزعوم.

وإننا في هذه الظروف القاهرة التي يمر بها المسجد الأقصى، وفي ظل المخاطر التي تهدده، وفي ظل الحصار الجائر الذي تتعرض له مدينة القدس، والعدوان الغاشم على سكان القدس ومن حولها، نجد للأسف من الأعراب ومن بني جلدتنا من يشكك في قداسة المسجد الأقصى، ويشكك حتى في وجود المسجد الأقصى، ويشترك في هذه الهجمة ملوك ورؤساء، ومفكرون ووسائل إعلام، فقبل أيام كشف الروائي والأديب المصري يوسف زيدان المشهور: مخططا خطيرا للرئيس المصري عبد الفتاح السيسي يتلخص بتغيير الوعي المجتمعي في مصر عبر تقديم مجموعة من المغالطات والأكاذيب، على أنها حقائق، فيما يبدو أنه محاولة لفك ارتباط وعي الشعب المصري بالقضية الفلسطينية، والمسجد الأقصى تحديدا، عبر

[1] انظر: شرح مشكل الآثار 75/2.

نفي وجود شيء اسمه المسجد الأقصى أو رحلة الإسراء والمعراج، وأن الرئيس السيسي كلفهم بنشر فكرة نفي وجود المسجد الأقصى، وكذلك رحلة الإسراء والمعراج، عبر عشرات المحاضرات التي يتم القاؤها على الجمهور المصري، بهدف تغيير الوعي المجتمعي الإسلامي، وترسيخ فكرة التعايش مع يهود وإقامة علاقات تطبيعية معهم، بل إن الأمر أخطر من ذلك بكثير، فهي محاولة يائسة من قائد الانقلاب في مصر أن يرضي أسياده ويخطب ودهم بالتنازل عن أقدس مقدسات المسلمين، وتأكيد إخلاصه لأسياده في الغرب، وتأكيده على مساندة الدولة اللقيطة المسماة إسرائيل، وتثبيط همم المسلمين وتوهين عزائمهم في الدفاع عن الأقصى المبارك، أو محاولة تحريره، من خلال تشكيكهم في قدسيته ومكانته عند المسلمين التي توارثوها جيلا بعد جيل.

وسمي الأقصى بهذا الاسم لبعد المسافة بينه وبين مكة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك.

انطلقت رحلة الإسراء والمعراج، من مكة المكرمة، ثاني القبلتين، من البيت العتيق مهوى أفئدة المسلمين يتوجهون إليها في كل صلاة من شتى بقاع الأرض، وفيها مناسك الحج، إذ يشد إليها الرحال في كل سنة، من أجل هذا الركن العظيم، والبيت الحرام هو أصدق تعبير عن وحدة الأمة الإسلامية، مهما تباينت في أشكالها، ومهما تباعدت في أوطانها، حتى وإن تمزقت أمة الإسلام إلى دويلات، وشعوب، وقبائل، تبقى القبلة "البيت الحرام " هو الجامعة التي تجمعهم في الحج، وتجمعهم في كل صلاة، وهذا من أعظم الأسباب التي تساعد على جمع شمل المسلمين، وتوحدهم بعد هذه الفرقة، والبيت الحرام هو أصدق تعبير عن وحدة الديانة التي يدين بها المسلمون، وهو تعبير عن وحدة المصير والهدف .

انطلقت الرحلة من البيت الحرام في مكة المكرمة، إلى بيت المقدس، ولم تكن إلى غيرها من البلدان، ولم تكن الرحلة من المسجد الحرام إلى السماء، رغم أن السماء هي قبلة هذه الرحلة، بل كانت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم انطلقت إلى السماء من بيت المقدس[1]، إن لهذا المسار في هذه الرحلة دلالة عظيمة.

أولاً - إن بيت المقدس لها قدسيتها، وحرمتها، ومكانتها، كما هي مكة المكرمة، وهذه القدسية ظاهرة، واضحة، تقررها الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والتي سيأتي ذكرها، إن شاء الله .

وإن هذه القدسية ليست خاصة بالمسجد الأقصى، بل هي عامة تشمل كل بلاد الشام، كما صرحت بذلك الأحاديث النبوية الصحيحة.

وإذا كانت هذه الأرض لها قدسيتها، وحرمتها، كما هي مكة المكرمة، فإن أي تفريط، أو تهاون، في أي جزء منها، هو بدوره تفريط وتهاون في مكة المكرمة قبلة المسلمين اليوم، كما أن التفريط في شبر من هذه الأرض، هو تفريط في دين الله - عز وجل - وتفريط في كتاب الله، الذي خلد هذه الأرض في صفحاته الخالدة.

إذ قال الله تعالى في ذكر هذه الأرض:

1- قال تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ، لنريه من آياتنا ،إنه هو السميع البصير)[2]

2 قال تعالى:(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا)[3]. والأرض هي ما حول المسجد الأقصى المبارك.

3 قال تعالى: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ،وليتبروا ما علو تتبيرا)[4]

---

[1] الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس ما ذكره كعب الأحبار : ان باب السماء الذي يسمى مصعد الملائكة يقابله بيت المقدس كما أن البيت المعمور تقابله مكة.

[2] سورة الإسراء آية 1

[3] الإسراء ، آية 4

[4] الإسراء ،آية ، 7

والمسجد هنا هو المسجد الأقصى المبارك.

4- وقال تعالى :(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها)[1]. قال الحسن البصري وقتادة هي بلاد الشام.

5- وقال تعالى: (ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركن فيها للعالمين) الأنبياء، آية 71.

6- وقال تعالى: (ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها)[2]

7- وقال تعالى:(وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير)[3].

8- وقال تعالى :(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب لكم)[4].

وهي أرض بيت المقدس

هذه بعض الآيات التي ذكرت، وخلدت فلسطين المباركة، وإن التفريط في هذه الأرض هو تفريط في هذه الآيات، بل هو تفريط في كتاب الله كله، وأن التقاعس عن تطهير هذه الأرض، وتحريرها من أنجس خلق الله هو تنكر لدماء الشهداء الأبرار الذين قضوا نحبهم دفاعاً عن هذه الأرض، بل هو تفريط في الأمانة الكبرى، التي ورثناها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أما الأحاديث التي تحدثت عن هذه الأرض فهي كثيرة، فمنها:

1- عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن الرسول- صلى الله صلى الله عليه وسلم - قال : اللهم بارك لنا في شأمنا، اللهم بارك لنا في يمننا. قالوا وفي نجدنا، قال :اللهم

[1] الأعراف ، آية 137
[2] الأنبياء ، آية 81 .
[3] سبأ ، آية 18
[4] المائدة ،آية 21 .

بارك لنا في شأمنا، وبارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هناك الزلزال والفتن، ومنها يخرج قرن الشيطان)[1].

2 -عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نؤلف القرآن من الرقاع - أي نجمعه في قطع من الجلد - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (طوبي للشام، فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله ؟ قال لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها)[2].

ثانياً - إن هذه القدسية التي تتمتع بها فلسطين، لم تمنح لها من جهة أرضية، أو من زعيم، أو حزب، بل إن هذه القدسية مستمدة من الله - عز وجل - الذي يفضل ما شاء من البقاع على غيرها، فالله هو الذي قدس هذه الأرض، وبارك فيها، وهو الذي أسرى برسوله - صلى الله عليه وسلم - إليها وجمع له الأنبياء فيها، وهو الذي رفعه إلى السماء منها، والله تعالى هو الذي جعل الصلاة في مسجدها الأقصى، نواة هذه الأرض المباركة، بخمسمائة صلاة في غيره من المساجد، خلا المسجد الحرام ، والمسجد النبوي في المدينة المنورة - على ساكنها أفضل صلاة وأتم تسليم - .

ثالثاً- إن قدوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج، إلى بيت المقدس، هو بشرى للمؤمنين بفتح بيت المقدس، فقدومه إليها، هو فتح معنوي لها، وتسمية الأقصى بالمسجد في زمن التنزيل هو تأكيد لهذه البشرى، فغير المسلمين لا يسمون أماكن العبادة عندهم بالمساجد، فهذه التسمية بحد ذاتها إعلان عن إسلامية أرض فلسطين.

فأرض فلسطين إسلامية بفعل الله، ومشيئة الله - عز وجل - فهو الذي صبغ هذه الأرض بصبغة القداسة والبركة، وهو الذي البسها هذا اللباس، بخلاف أرض

---

[1] رواه البخاري

[2] رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

المسلمين الأخرى، التي أصبحت إسلامية بفتح المسلمين لها، كمصر والعراق، وغيرها من أرض الإسلام.

فإن كانت أرض فلسطين تستمد إسلامها من الله - عز وجل - فمن يستطيع أن يجردها من هذا اللباس ومن يستطيع أن ينزع عنها هذه التسمية، والأقصى أراده الله مسجدا قبل ان يفتح المسلمون القدس، وقبل أن يكون فيها أحد من المسلمين، فلم يرده هيكلاً، ولن يكون إلا ما أراد الله - عز وجل - .

مفهوم البركة التي وصف الله فيها أرض الإسراء

لما تحدث الله عن رحلة الإسراء، وعن أرض الإسراء، وعن الأقصى، أسدل الله تعالى ثوب البركة لما حول الأقصى، فقال (الأقصى الذي باركنا حوله) بهذا ثبتت البركة للأقصى من باب أولى فهو قلب هذه الأرض المباركة، وأثبتها لما حوله، فالأرض التي تحيط المسجد الأقصى هي أرض مباركة، بكل جبالها، وأوديتها وصحاريها وسهولها ، وتلالها ...الخ.

والبركة: نماء الخير والفضل في الدنيا والآخرة بوفرة الثواب للمصلين فيه، وبإجابة دعاء الداعين فيه، ومن البركة بناء إبراهيم له، ومنها ما لحقه من صلاة الأنبياء فيه، ثم بحلول عيسى عليه السلام فيه ودعوته إلى الله منه، ومما حوله، ومنها بركة من دفن فيه من الأنبياء بجواره، وأعظم هذه البركات هو رحلة رسول الله إليه في موكب مبارك خارق للعادة وصلاته فيه بالأنبياء.

وقيل في البركة حول الأقصى: هي بركة في الثمار والأنهار، مع بركة الأنبياء الذين حلوا في هذه الأرض، من إبراهيم ولوط وداود وسليمان ويحيى وزكريا، وغيرهم.

يقول أبو محمد بن أبي جمرة:(الحكمة من الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج إلى السماء: إرادة إظهار الحق لمعاندة من يريد إخماده، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح فلما ذكر أنه أسري به إلى بيت المقدس، سألوه عن تعريفات جزئيات من بيت المقدس، كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخبرهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صح خبره في ذلك لزم تصديقه في بقية ما ذكره، فكان ذلك زيادة في إيمان المؤمن، وزيادة في شقاء الجاحد والمعاند)[1]، ولا يمكن التسليم بأن سبب الإسراء إلى بيت المقدس، هو ليكون ذلك لمزيد بيان وإيضاح للمكذبين، فقد يكون هذا إحدى أغراضها، لكن الرحلة إلى بيت المقدس تحمل معاني كثيرة ودلائل هامة، ورسائل قيمة.

[1] فتح الباري لابن حجر:7ص 600

من هم رجال الأقصى
الذين تنتظرهم

إذا علمنا أن أرض الإسراء والمعراج، هي أرض طاهرة طيبة، تستمد قدسيتها وطهارتها من الله - عز وجل- وهي اليوم تعاني محنتها، وتذوق مرارة الأسر والضياع، فلا يكتب شرف تحريرها وتطهيرها، والمحافظة عليها، إلا للطيبين الطاهرين، وذلك للآتي:

أولا- يبين لنا القرآن الكريم ميزات أبطال هذه الأرض، فقال - عز من قائل - وهو يتحدث عن الأرض المباركة - وعن الإفساد فيها من قبل اليهود- وكيف تحررت منهم أول مرة:

(فإذا جاء وعد أولهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا)[1]، فرجال الأقصى هم عباد الله،عباد اصطفاهم الله عز وجل لنفسه، واتبعهم له، رجال الأقصى ليسوا من الذين عشعش الضلال في عقولهم، أو الذين ارتموا في أحضان الجاهلية ليرتضوها بديلا عن الإسلام، أو الذين جعلوا قبلتهم إلى عواصم الإلحاد، إن أبطال فلسطين الذين تنتظرهم ليحرروها من الظلم والظالمين هم عباد الله، قبلتهم إلى السماء لا إلى الأرض، قبلتهم إلى رب العزة، يسألونه ويستعينون به، لا يفتقرون إلى أحد سواه، الذين يعتزون بانتمائهم لهذا الدين، والذين يجعلون من رسول الله مثلهم الأعلى، الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا.

ومن أراد مزيد علم عن عباد الله هؤلاء، فالقرآن زاخر بالآيات الكثيرة، التي تتحدث عنهم منها، قوله تعالى في سورة الفرقان:

[1] سورة الإسراء

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقرا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما)[1] ومن أراد معرفة حقه لأبطال الأقصى ،فلينظر إلى سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو الفاتح المعنوي لأرض فلسطين، ولينظر إلى سيرة صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأبي عبيدة، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - الذين فتحوا البلاد فتحاً عملياً، بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

وقوله تعالى :(أولى بأس شديد)[2]. وهؤلاء الذين يسند إليهم شرف تحرير هذه الأرض، هم أولو بأس شديد، أولو بأس في دينهم وعقيدتهم، أولو بأس في حربهم وتضحياتهم وجهادهم، إذا لقوا الذين كفروا زحفا لا يولوهم الأدبار، ولا ينهزمون أمام اضعف أمة في الحرب والقتال، وهم يهود الذين قال فيهم -عز وجل - : (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر)[3].

بل إن عباد الله يحرصون على الموت في سبيل الله، كما يحرص الملاحدة على الحياة.

ثانياً - لا بد أن نضع في أذهاننا: أن الذي فتح فلسطين فتحا عمليا، هو أبو عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه - الذي كان قائدا عاما لجيش المسلمين، وإذا علمنا من هو أبو عبيدة - رضي الله عنه - فإننا سوف نزداد معرفة برجال فلسطين.

فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - :(إن لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة هو أبو عبيدة، وعن حذيفة بن اليمان - رضي الله

[1] سورة الفرقان 63-68
[2] الاسراء ، آية 5
[3] الحشر ، آية 14

عنه - قال جاء رسول أهل نجران إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أمينا، فقال - صلى الله عليه وسلم: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين، قال: فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيدة عامر بن الجراح - رضي الله عنه -)[1]. وعن انس - رضي الله عنه - أن أهل اليمن قدموا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا رسول الله ابعث معنا رجلاً يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبى عبيدة فقال: (هذا أمين هذه الأمة)[2].

وشاء الله أن يكون أبو عبيدة هو الفاتح لبيت المقدس، إذ وجه له الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الأوامر بذلك، مع العلم أن عمر بن العاص - رضي الله عنه - كان لا يبعد كثيراً عن بيت المقدس، لقد فتحها أبو عبيدة أمين هذه الأمة، حتى ندرك أن هذه الأرض لا يكتب شرف تحريرها إلا للأمناء، الأتقياء الأنقياء، وحتى نستشعر أن فلسطين هي: أمانة في أعناق المسلمين قلدها لهم أمينها وفاتحها الأول أمين هذه الأمة.

فتحها أبو عبيدة، واستلم مفاتحها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كل ذلك تجسيداً لما جاء في كتاب الله من وصف للأبطال الذين يكتب لهم شرف تحرير الأرض المباركة، وتأكيداً لفتح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المعنوي لها، فهي أمانة في عنق هذه الأمة، لقول الله في كتابه، وقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سنته، وفعل رسول الله - صلى الله عليه - وسلم في إسرائه إليها، ثم جاء أبو عبيدة، ليضع هذه الأرض وهذه الأمانة عقداً في أعناق المسلمين إلى يوم القيامة، هذه الأمانة التي سيسألون عنها أمام الله - عز وجل - والتي أصبحت اليوم تئن تحت وطأت المحتلين من شذاذ الأفاق، الذين غضب الله عليهم، ولعنهم، ومزقهم شر ممزق.

---

[1] رواه البخاري ، ومسلم .
[2] رواه البخاري ،ومسلم

وبماذا سيجيب مئات الملايين من المسلمين يوم القيامة!!! إذا سألهم رب العزة عن هذه الأمانة؟ وبماذا سيجيبون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سألهم عن مسراه، الذي أسرى به إليه، وعن قبلة المسلمين الأولى؟

وبماذا سنجيب آلاف الصحابة الأبرار، الذين طهروا هذه الأرض بدمائهم الزكية، وأرواحهم الطاهرة، في أجنادين، وغيرها وماذا نقول لآلاف الشهداء الأبرار، الذين قضوا نحبهم دفاعاً عن هذه الأرض عبر التاريخ الطويل، بعد فتح أبى عبيدة لها إلى أيامنا هذه ؟ وماذا تقول لصلاح الدين الأيوبي الذي طهر هذه الأرض، من عبدة الصليب بعد أن حولوا المسجد الأقصى المبارك إلى إسطبل للخيول، ومجمعاً للنفايات؟ وبماذا سنجيبه عن المنبر الذي بناه للمسجد الأقصى، والذي حرقه اليهود سنة 1969م.

وماذا تقول لعز الدين القسام وللمجاهدين المسلمين من بعده في حرب 48 الذين قضوا نحبهم دفاعا عن إسلامية هذه الأرض؟

وماذا تقول للسلطان عبد الحميد الذي طلب منه اليهود أن يمنحهم مستعمرة على أرض فلسطين؟ فقال: إن عمل المبضع في جسدي، أهون علي من أن اتنازل عن شبر واحد من ارض فلسطين، وأن أرض فلسطين ليست ملكاً لأحد من الناس حتى يتنازل عن شبر منها, بل هي ملك لكل المسلمين".

فما أعجب أن تسمع إذاعات الهزيمة، وهي تصف الخلافة العثمانية التي دافعت عن قدسية هذه الأرض أربعة قرون، وهي تصفها بالاستعمار والمحتل التركي.

فأين المتاجرون اليوم، الذين يريدون التنازل عن الأرض مقابل السلام الهزيل، الذين يريدون أن يقدموا80% من الأرض المباركة حتى يتسنى لهم العيش بسلام، كما يتوهمون على بقية الأرض، ليعلم هؤلاء المتاجرون بدماء الشهداء من عهد أبى عبيدة - رضي الله عنه - إلى يومنا هذا أن دماء الشهداء سوف تكون لعنة على

المتخاذلين، وأن الأجيال سوف تلعن كل من تسول له نفسه أن يتنازل عن أي ذرة من هذا التراب الطاهر الذي جبل بالدماء الزكية.

نستمد من تحرير أبى عبيدة لهذه الأرض المباركة، أن ارض فلسطين لا يحررها إلا الأمناء، الأمناء على عقيدتهم ودينهم ،الأمناء على وطنهم وأمتهم، فلا يحررها الخونة الذين يخونون الأمة في عقيدتها، ودينها الذين يستوردون للأمة مبادئ الضلال والكفر، ولا يحررها الذين تنكروا للإسلام، وحاربوا حملة الدين، لا يحررها الذين لا يعرفون من الأرض إلا أنها سنسال يعلق في الأعناق والنحور المكشوفة، لا يحررها الذين يرفضون الإسلام عقيدة ومنهاجاً وسلوكاً، هذه حقيقة يعرفها المؤمنون في كل زمن، ويؤكدها الواقع، فماذا فعل الذين تنكبوا منهج الله وخلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم لهذا الأرض، ومنذ ستين سنة غير التنازلات المستمرة عن حقوق الأمة وكرامتها؟ وماذا جروا لهذه الأمة، غير الهزائم المتلاحقة والضياع المتواصل، والمذابح تلو المذابح، لشعب أرض الإسراء والمعراج؟.

فلما وقعت أرض الإسراء والمعراج في قبضة الصليبيين، حررها صلاح الدين الأيوبي الكردي المسلم، وكسر الصليب الذي علق فوق الصخرة أكثر من تسعين سنة، لقد كان منطلق صلاح الدين دينيا بحتاً بعيداً عن كل الرايات، والشعارات الزائفة، كالشعارات الأرضية من وطنيه مبتورة عن الإسلام، أو قومية تفخر بالآباء والأجداد، أو غير ذلك من الرايات البالية.

بل تحت راية الإسلام، الذي يجعل من أرض فلسطين ملكاً لكل المسلمين ليس لفئة دون فئة، بل وقفا لكل الأجيال المسلمة الى يوم القيامة.

لقد حررها صلاح الدين تحت راية القرآن الكريم، مستمداً منه منهاج التحرير، لقد جاء في الرواية أن صلاح الدين - رحمه الله - مر على خيمة من خيام الجند، فوجد الجند فيها لا يقرءون القرآن، فأشار إلى تلك الخيمة وهو يقول: من هنا تأتي

الهزيمة، من الذين لا يقرءون القرآن، ولا يستمدون منه منهاج التحرير، هذا شأن الذين لا يتخلقون بأخلاق القرآن، لا يجرون لهذه الأمة إلا الهزائم المتلاحقة، ولا يجلبون لها إلا الذل والهوان والضياع.

لقد حرم الله أرض فلسطين على اليهود، على عهد موسى - عليه السلام - وقضى عليهم التيه في صحراء سيناء، وذلك لكثرة معاصيهم وتفريطهم، وتقصيرهم في جنب الله تعالى:(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين)[1]

وقوله تعالى: (فلا تأس على القوم الفاسقين) هو تأكيد على أن حرمانهم من دخول هذه الأرض إنما كان لمعاصيهم، وكثرة اختلافهم على أنبيائهم، وتفريطهم في جنب الله، وبسبب تخلفهم عن الجهاد، وتهربهم من دفع ضريبة دخولهم لهذه الأرض، ولأنهم لا يريدون أن يمتثلوا أمر الله في محاربة الجبابرة الذين كانوا يحكمون هذه الأرض.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك :أن بني إسرائيل قبل أن يأتوا إلى فلسطين كانوا قد عاشوا حياة الذل والاستعباد في ظل حكم الفراعنة الذين قتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم، فقضى عليهم التيه حتى يخرج من أصلابهم أمة أحرار قد نفضوا عنهم غبار الذل والاستعباد، حتى يكتب لهم شرف دخول فلسطين، وذلك بعد التيه الذي دام أربعين سنة، وقيل: إنه لم يدخلها أحد من الذين قالوا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها، بل دخلها من لم يقل كما قالوا، أو دخلها أناس من أصلابهم، لأن شرف تحرير فلسطين إنما يكتب للأحرار الذين تحرروا من كل تبعية لشرق وغرب، لأناس قد تحررت قلوبهم وأعناقهم لله عز وجل.

وإن الذي حرم هذه البلاد المباركة على بني إسرائيل بسبب معاصيهم وتقصيرهم في جنب الله، وتهربهم من الجهاد في سبيل الله، لا يمنع أن يحرمها على من شاكلهم من العصاة الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وأصبحوا عالة على مبادئ الشرق أو

[1] المائدة ، آية 26 .

الغرب، وقطعوا صلتهم بالله وبكتاب الله، لا يمنع أن يحرمها على عبيد أمريكا الذين يأتمرون بأمرها ويحجون إليها.

فلا غرابة أن يفر منها الأعراب في حرب حزيران، وأن يسلموها ليهود وهم أجبن أمة في الحرب والنزال، دون أية مقاومة أو محاولة لحماية هذه الأرض، وقد تواترت الرواية أن الجيش الهاشمي قد هرب من القدس من قبلة المسلمين الأولى بثياب النساء، هربا من ضريبة الجهاد، لأنهم لا يستحقون شرف الدفاع عن هذه الأرض، وإذا حرم بنو إسرائيل من دخول هذه الأرض في زمان موسى بسبب معاصيهم، فمن باب أولى أن يحرم الأكثر عصيانا لله من هذا الشرف، فأصحاب المشروع الوطني اليوم الذين ينادون بأن القدس هي عاصمتهم المستقبلية، نراهم اليوم يصبون فيه جام غضبهم على كل ما هو ديني، أو مرتبط به، أو له جذور دينية، ويعملون ليل نهار على تفريغ بيوت الله من المصلين، ويمنعونها بكل السبل من أداء رسالتها، ويعملون جاهدين على مواجهة ظاهرة التدين، ونشر كل أسباب التحلل والفساد، بل إن الأجهزة الأمنية التابعة لهؤلاء كانت بكل وقاحة تقول للمعتقلين الإسلاميين، إذا استغاثوا - أثناء التحقيق والتعذيب - بالله، كانوا يقولون: نحن وضعناه في الدرج!!! استغيثوا بغيره!!فمن حرم قوما معهم موسى بسبب معاصيهم من دخول هذه الأرض فلن يكتب هذا الشرف لمثل هؤلاء.

ورب قائل: ها قد دخل يهود إلى فلسطين في هذا الزمن وليسوا لها بأهل، بل هم أسوأ أمة في هذا الزمن، وهم يقينا أسوأ من وضعهم في زمان موسى لما حرمت عليهم!! وهذا صحيح ولكن علينا أن ندرك أن يهود في هذا الزمان لم يدخلوها بصلاح أمرهم بل بمعاصينا، واختلافنا، وسوء حالنا، وبعدنا عن ديننا، لم يدخلوها إلا عقوبة لنا، لأننا لا نستحق ونحن على هذه الحال شرف السيادة على هذه الأرض المباركة.

المبحث الثالث:

إسلامية المعركة هو الخلاص

لقد تيقن أعداء الإسلام، وخصوم المسلمين أن حتفهم يكمن في الإسلام، لذلك حاولوا جاهدين ومنذ بداية القضية الفلسطينية، بل وقبل ذلك حالوا وعملوا بكل ما أوتوا من مكر، على أبعاد الإسلام على ساحة المعركة، وتحييده ما أمكن عن المواجهة، سواء كان ذلك بأبعاد الجندي عن دينه، وسلخه من عقيدته، ليقبع تحت راية بعيدة عن الإسلام كالعلمانية، أو القومية أو البعثية، أو غير ذلك من الرايات الأخرى، كما هو الحال مع الجيوش النظامية سواء كانت على خط المواجهة أبو بعيدة عنه.

أو بأبعاد المسلم الحقيقي عن ساحة المعركة، كما حصل في كل الحروب التي خاضتها الأمة العربية، في هذا الزمن لقد عملوا على تحييد الإسلام كليا في كل مواجهة مع العدو، فما أصيبت الأمة بهزيمة أو مصيبة على أيدي العدو، إلا وقد أصيبت في علمائها ومفكريها قبل ذلك على أيدي القادة والحكام من بني جلدتنا، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، ما من معركة وقعت مع العدو إلا وقد علق الإسلاميون قبيل ذلك على أعواد المشانق، أو زج بهم في غياهب السجون، ففي حرب 1948م عندما ضاع قسم كبير من فلسطين جمع المجاهدون من أرض المعركة إلى السجون، وقبيل العدوان الثلاثي تعرض الإسلاميون لمذبحة رهيبة في مصر راح ضحيتها الكثير من الأحرار المخلصين، الذين هم بركة هذه الأرض، وعلق العلماء على أعواد المشانق قبيل الخامس من حزيران في المعركة التي ضاعت فيها بقية فلسطين، وضاع فيها المسجد الأقصى المبارك وضاعت مدينة القدس، وبقية الأرض المباركة، تعرض المسلمون قبيلها لحرب إبادة في سجون مصر.

لقد ضاعت الأرض المباركة بغير معركة حقيقة، وبغير قتال حقيقي، والأمة غارقة في الجهل، لا تعرف غير التصفيق للمهزومين من القادة والساسة الذين انسلخوا من دين الأمة وهويتها.

ولم تكن المعركة ضد الإسلاميين فحسب، بل كانت الحرب ضد الإسلام بكل ما في الكلمة من معنى، فاقرأ أخي وتدبر معي ما كتبته مجلة جيش الشعب السوري في 1976/6/25م، أي قبيل مهزلة حزيران بأيام كتبت بقلم إبراهيم خلاص:"والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب، وبناء المجتمع العربي، هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد، الذي يؤمن أن الله، والأديان، والإقطاع، ورأس المال، والاستعمار، والمتخمين، وكل القيم التي سادت المجتمع السابق، ليس إلا دمى محنطة في متحف التاريخ".

ولم يجد المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة البعثيين عنوانا يزين به مغلف مجلته، إلا صورة امرأة عارية ترضع كلباً، كتب تحت ثديها (الله، محمد، علي) وعلى سوأتها لفظ الجلالة "[1]

وهل توقفت الحملة ضد الإسلام والإسلاميين بعد هذه الهزائم، هل رفع قادة الهزيمة أيديهم عن الدعاة ؟ هل توقفت حملات الإبادة عن الموحدين الأطهار أم أنها في ازدياد؟

لقد بات من غير شك لكل ذي لب، أن الخروج من هذه المحنة التي تتعرض لها أمة الإسلام بشكل عام، وشعب فلسطين بشكل خاص، أن ذلك يكمن في إسلامية المعركة، وصبغتها بصبغة العقيدة الإسلامية وذلك لأمور نذكر منها بإيجاز.

أولا- إن قضية فلسطين هي قضية دينية بحتة، فالله تعالى أراد لبني إسرائيل الإفساد في أرض فلسطين مرتين، سواء أكانت هذه المرة هي الأولى أو الثانية، أو أن الأولى والثانية قد مضتا، فإن الله تعالى قال بعد الثانية: (فإن عدتم عدنا وجعلنا

[1] هؤلاء هم النصيريون ، صفحة 15 .

جهنم للكافرين حصيرا)[1]. وقوله: عدنا أي: عدنا بعبادٍ لنا أولى بأس شديد، وتحت راية الحق وهو الإسلام.

ثانياً- إن العدو الذي يحتل هذه الأرض، إنما يعلنها حرباً دينية بحتة، لا باسم جنس، ولا قوم ولا ينكر هذا إلا معاند قد أعمى الله بصيرته، فماذا يعني قول اليهود أرض الميعاد، وشعب الله المختار، ونجمة داود، وتسمية الدولة باسم نبي الله يعقوب، ثم إصرارهم في هذا الزمان وضغطهم على سلطة أسلو أن تعترف بيهودية الدولة، وحتى العملة يستمدون أسماءها من أصل ديني قديم، وهي عملة داود؟ وما الذي جمع يهود بولندا من اللون الأبيض مع يهود الفلاشا من اللون الأسود؟ وما الذي جمع يهود روسيا مع يهود المغرب العربي؟ إلا النزعة الدينية وعلى أساس ديني، ومنطلقات عقائدية بحتة، لقد اجتمع اليهود من كل بلد، ومن كل لون، باسم اليهودية، فلا بد للمسلمين في هذه المعركة من المواجهة بسلاح العقيدة، فالعدو يواجه بعقيدة محرفة مبدلة، بعقيدة فاسدة، ونحن نواجه بالدين الحق الذي تعهد الله بحفظه:(إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[2]

[1] الاسراء ، آية 8

[2] الحجر ، آية 9 .

المبحث الرابع

التخلي العربي الرسمي عن القضية

لما حيد الإسلام عن القضية الفلسطينية، وأصبحت القضية الفلسطينية قضية عربية بحتة لا صلة للإسلام بها لا من قريب أو بعيد، ثم جردت من بعدها العربي فأصبحت قضية شرق أوسطية، وبذلك تبرأت الأنظمة العربية البعيدة عن فلسطين وشعب فلسطين، ثم جردت من بعدها الشرق أوسطي لتصبح قضية خاصة بدول المواجهة، وفي مؤتمر الرباط أعلنت العروبة: براءتها التامة من القضية لتجعل من فلسطين قضية تخص الفلسطينيين فحسب، إنها خطة جهنمية بيتت بليل لعزل هذا الشعب الأسير وتركه وحده في معركة غير متكافئة.

ليت الأمر توقف على التخلي عن فلسطين وشعب فلسطين، بل هناك أنظمة عربية مجاورة لفلسطين أصبحت جزءا من المؤامرة على شعب فلسطين وقضية فلسطين، فمن هو الذي حاصر غزة ولا يزال يحاصرها ويمنع عنها الغذاء والماء حتى الهواء فضلا عن السلاح، من هو الذي يغرق غزة اليوم بالمياه بحجة هدم الأنفاق التي هي شرايين حياة لأهل غزة! من هو الذي يهاجم الفلسطينيين في الإعلام ويشيطن الشعب الفلسطيني، سوى مصر وإعلام مصر ورئيس الانقلاب في مصر الكنانة، قبل أيام خرج الفنانون في مظاهرة في مصر يحملون صورة أسير يهودي في غزة يطالبون غزة بإطلاق سراحه، ولم يسمعوا عن خمسة آلاف بطل في سجون الاحتلال بعضهم تجاوز ثلاثين سنة في الأسر! من كان يعتقد أن مصر تهوي في هذا المنزلق وتنحط إلى هذا المستوى من الانحطاط والغدر والخيانة، لكن ذلك لا يستغرب من رئيس انقلابي جاءت به الصهيونية لخدمة مصالحها، والحفاظ على أمنها، ففي ظل الخونة كل شيء جائز!

وماذا عن التنسيق الأمني الذي تمارسه سلطة أسلو، والذي لا يخدم سوى الأمن الإسرائيلي، ولا يضر إلا بفلسطين قضية وشعبا، والأحرار والشرفاء من هذا الشعب الذين يجلدون في أقبية التحقيق الفلسطينية خدمة للمشروع الصهيوني ليس إلا، ولقد اعترف الرئيس الفلسطيني محمود عباس أن فكرة إغراق غزة بالمياه التي تنفذها سلطة الانقلاب في مصر إنما هي من بنات أفكاره - أي أبو مازن محمود عباس - وهو بذلك يحقق أمنيات يهود الذين قال زعيمهم اسحق رابين: أتمنى أن أصبح ذات يوم وأجد أن غزة قد ابتلعها البحر!

لم يتوقف هذا العداء لفلسطين وشعب فلسطين على هذا البلد أو ذاك، بل تجاوز إلى آخرين، فهذا مسئول في الإمارات العربية يتعهد ليهود بدفع فاتورة تدمير غزة، يقول ليهود: دمروا قطاع غزة ولا تبقوا فيها حجرا ونحن على استعداد لدفع فاتورة ذلك لإسرائيل، وهذا العرض جاء قبل عدوان الاحتلال على غزة عام 2014م، وإعلامي كويتي أثناء العدوان يطالب الاحتلال اليهودي باستعمال أسلحة نووية لمسح غزة عن الوجود، لأن الأسلحة التقليدية لم تعد تنفع مع أهل غزة، وهذا غيض من فيض، قد يقول قائل: هذا موقف أفراد بل هو الموقف الرسمي لهذه الأنظمة المهترئة، فالأول أمير ولا زال أميرا حتى كتابة هذه السطور، والآخر صحفي مشهور! وكيف يسمح له أن يكب في صحف محترمة تنشر هناك إن لم يكن هناك قبول لقوله على المستوى الرسمي على الأقل، ولا ننسى أن بعض هذه الدول قد أخرجت المقاومة الإسلامية في فلسطين عن القانون واعتبرتها إرهابية، هذا ما فعلته كل من الإمارات والسعودية ومصر، وهناك دول أخرى تتعامل مع المقاومة الإسلامية على هذا الأساس وإن لم تعلن ذلك في الإعلام.

وقبل أيام غرد مسئول أمني كبير في الإمارات العربية وهو ضاحي خلفان مسؤول شرطة دبي على إحدى الفضائيات عندما سئل: هل تشكل إسرائيل خطرا على المنطقة؟ قال: لا إسرائيل لا تشكل أي خطر على المنطقة، إنما الذي يشكل

خطرا على المنطقة هم الإخوان المسلمون!! فالإسلام في نظر هؤلاء المعتوهين هو الخطر على باطلهم وليس اليهودية، مع التأكيد على أن هذا الموقف الخياني هو الموقف الرسمي، وأن الموقف الشعبي سواء في مصر أو الكويت أو الإمارات أو غيرها كان ولم يزل وسيبقى داعما لفلسطين وقضية فلسطين العادلة، لكن هذه الشعوب لا صوت لها، ولا حول لها في ظل الاستبداد وحكم الفرد وأنظمة القمع البوليسية!

فالآن لقد جاء دور الإسلام، بعد أن فشلت كل هذه الأنظمة وكل أصحاب الجلالة والفخامة والسمو في عمل شيء من أجل الأرض المباركة، والشعب الذي يعيش تحت نير الاحتلال، وبعد أن سقطت الأقنعة، وافتضحت المبادئ المعيبة، والرايات البالية التي تستر خلفها هؤلاء عشرات السنين، ولم تعد تسترهم، لقد جاء دور أحفاد عمر بن الخطاب وأبى عبيدة - رضي الله عنهما - لقد جاء دور صلاح الدين، جاء دور الطاهرين الأبرار.

نحن نصر على إسلامية المعركة، لأنها الطريق الوحيد الموصل إلى الهدف، وإن كان ظاهر الطريق طويلاً، فالطريق الموصل إلى الهدف رغم طوله، خير من كل الطرق المغلقة، التي لا توصل إلى هدف، بل تقود إلى عكس الهدف، ونحن نصر على سلاح الدين والتدين وسلاح العقيدة، لأن الله مولى المؤمنين، والملائكة وصالح المؤمنين بعد ذلك ظهير، ولأنه السلاح الأمضى.

وأي معركة لا تكون موصولة بالله فهي خاسرة لا محالة، لأن النصر من عند الله: (وما النصر إلا من عند الله)[1] وإسلامية المعركة تعني أننا نواجه العدو بأمة تحرص على الموت في سبيل الله، أكثر من حرص الآخرين على الحياة، ونحن

[1] سورة الأنفال آية 10

نواجه أمة من أحرص الناس على حياة، قال تعالى:(ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر آلف سنة)[1]

فالإسلام يعطيناً التفوق المعنوي، وهو أساس الثبات والصمود والتحمل في المعركة، هو أساس الاستعداد للبذل والتضحية، ثم إن الأمة الإسلامية هي أمة عظيمة كبيرة العدد والعدة، فإسلامية المعركة تعني حشد هذه القوة الضخمة، والإمكانيات الهائلة في المعركة المصيرية، وهذه عوامل حسم المعركة لصالح المسلمين، خاصة وأن الكثير من المسلمين يتشوقون إلى الشهادة على هذه الأرض الطاهرة المباركة، وينتظرون ساعة المواجهة ليشاركوا في شرف تحرير الأرض المباركة.

وما أجل كلمات العالم المسلم، أبى الحسن الندوي، وإن كان بعيداً عن فلسطين فهو يعرف واجبه كمسلم نحو فلسطين أرض الإسراء، يقول: "إننا إذا اعتمدنا على العالم الإسلامي، فقد اعتمدنا على تلك القوة الكامنة في نفوس هذه الأمة العظيمة، التي تسكن هذه المنطقة (ويقصد بلاد الشام) هذه القوة الكامنة التي صنعت المعجزات في الماضي، وجديرة بأن تصنعها في الحاضر، هذه القوة التي انتزعت هذه البلاد كلها من أيدي الرومان الظالمين، وأفاضت عليها إيمانا جديداً ونوراً جديدا، وأضافت قدسية جديدة، إضافة إلى قدسيتها القديمة، هذه القوة التي لا تعرف الحواجز، ولم تعرف الهزيمة، ولم تفهم لغة الأرقام، ومنطق الأسباب والعدد، هذه القوة التي لا أجد لها تعبيراً في لغات البشر جمعاء، أبلغ من - إيمان - إن هذا الإيمان وما ينتجه من أسلوب للحياة، ونوع من الأخلاق، هو سمة هذا العالم الإسلامي، وقوته، وسلاحه، وهو القوة الكبرى، التي اكتشفها البشر، وعرفها التاريخ، وهو القوة التي تخلق الحكومات، وتخلق الأمم، وهو كالمفتاح لكل قفل

[1] البقرة ، آية 76 .

من أقفال الحياة البشرية، ، فإذا اعتمدت عليه، فقد اعتمدت على أكبر قوة يملكها الإنسان، وإذا وجدتموه، فقد ملكتم المفتاح الذي تفتحون به كل قفل "[1].

فلا نستغرب أن نسمع قادة العدو، وهم يعلنون مراراً أنهم لا يخشون شيئاً من القوميات والاشتراكيات، إنما يخشون الإسلام، إنما يخشون الصحوة الإسلامية العظيمة، هذا المارد الذي أخذ يتململ من جديد.

[1] كتاب العاقبة للعرب والمسلمين وارتباط قضية فلسطين بالوعي الاسلامي ، لأبي الحسن الندوي ، صفحة ،41 ، 42 .

إمامة الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنبياء

هل صلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء إماماً في رحلة الإسراء والمعراج؟ هل كان ذلك في بيت المقدس أم كان في السماء؟ وإن كان في بيت المقدس، هل كانت بعد المعراج إلى السماء أم قبله ؟ وإن كانت قبل المعراج، فكيف يكون ذلك والصلاة إنما فرضت في السماء في نفس الرحلة؟ وما الفائدة المترتبة على إمامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في السطور القادمة إن شاء الله.

لقد صح في الروايات: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - صلى بالأنبياء إماماً، وذلك في بيت المقدس، ففي صحيح مسلم من رواية أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(فحانت الصلاة فأممتهم ..) وفي مسند الإمام أحمد رواية عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما – قال:(أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد الأقصى فقام يصلي فإذا النبيون أجمعون يصلون معه)[1].

وفي رواية بن جرير، عن انس بن مالك - رضي الله عنه - قال في حديث طويل: ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء - عليهم السلام - فأمهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة قال بن كثير بعد أن ساق الحديث بطوله : فيه نكارة وغرابة.

[1] قال ابن كثير: إسناده صحيح.

وفي سنن النسائي عن انس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "قال - صلى الله عليه وسلم - :(ثم دخلت بيت المقدس ، فجمع لي الأنبياء - عليهم السلام - فقدمني جبريل - عليه السلام - حتى أممتهم، ثم صعد بي إلى السماء)[1]

وجاء ذكر صلاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء إماماً في بيت المقدس، عن البيهقي من رواية بن مسعود - رضي الله عنه - وعن بن أبى حاتم، من رواية انس - رضي الله عنه - لكن الروايتين لا تخلو من مغمز، كما يقول بن كثير.

فهذه الأدلة التي صح بعضها، تثبت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد صلى بالأنبياء إماماً في المسجد الأقصى المبارك، وهذا الذي يرجحه بن كثير، إذ يرى أن الصلاة كانت في بيت المقدس، ولم تكن في السماء، كما قال بعضهم ثم يرى ابن كثير: أن الصلاة كانت بعد المعراج لا قبله، واستدل على ذلك بما يلي:

أولاً - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان إذا مر على الأنبياء في منازلهم، جعل يسأل جبريل - عليه السلام - من هذا؟ومن هذا؟ واحداً واحداً، وهو يخبره بهم فلو كان صلى بهم قبل المعراج، لما احتاج إلى السؤال عنهم في السماء .

ثانياً- أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما كان مطلوباً إلى الجانب العلوي، ليفرض عليه وعلى أمته ما شاء الله - عز وجل - ثم لما فرغ من الذي أريد له، اجتمع هو وإخوانه من الأنبياء، ثم أظهر شرفه وفضله عليهم، بتقديمه في الإمامة.

وهو استنتاج غريب من ابن كثير - رحمه الله - فهو يرى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاد من السماء إلى بيت المقدس، ثم ركب البراق عائداً إلى مكة المكرمة، والظاهر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عاد من السماء إلى مكة مباشرة، ولم يعد ثانية إلى بيت المقدس، أما استدلال ابن كثير بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لو صلى بالأنبياء قبل المعراج لعرفهم، ولما احتاج إلى السؤال

[1] قال بن كثير بعد أن ساقه بطوله : فيه غرابة ونكارة جداً "

عنهم في السماء، فهذا لا يمنع أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أمهم قبل المعراج - فعدد الأنبياء كبير، وليس من الميسر أن يعرفهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - في لحظات، ولم يكن اجتماع الرسول - صلى الله عليه وسلم – ولقاؤه بالأنبياء اجتماعا تعارفيا، بل كان من أجل الصلاة كما هو معلوم، فالحالة لا تساعد على معرفتهم، وأما قوله أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان مطلوباً للجانب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته، ما شاء الله ثم بعد ذلك يتفرغ للصلاة، فإن القول: إنه صلى قبل العروج للجانب العلوي، ليسبق اللقاء بالصلاة، هو أوجه من القول الثاني، وأن هذا القول وهو أن الصلاة كانت بعد المعراج استنتاج عقلي لا يمنع وقوع الصلاة من الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل المعراج والله أعلم بالصواب.

أما استدلال الذين استدلوا بأن الصلاة إنما فرضت في رحلة المعراج، وهذا يعني وقوعها بعده فهذا استدلال غريب، لأن الصلاة كانت قبل رحلة الإسراء والمعراج، بكثير كما هو معلوم، وكانت عبارة عن صلاتين، إحداهما في الصباح والأخرى في المساء، وكانت عبارة عن ركعتين لكل صلاة، أما الذي فرض في ليلة الإسراء والمعراج، هو الصلاة على وضعها الحالي.

فالذي يطمئن إليه القلب هو: أن الصلاة كانت في بيت المقدس قبل المعراج، لا بعده، لأن قدوم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس قبل المعراج، هو أمر قطعي وأما عودته إليها بعد المعراج، فليس كذلك، مع أن الفائدة مكتملة في الحالتين وبالله التوفيق.

بقي أن نذكر: رواية حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - الذي كان يحدث: أن رسول - صلى الله عليه وسلم - أتى بيت المقدس، لكنه لم يدخله، ولم يصل فيه، هو وجبريل - عليه السلام - ولم يربط الدابة هناك. يقول بن كثير حول هذا الحديث:(إن

ما جاء عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ذكر ربط الدابة بالحلقة، وذكر الصلاة في بيت المقدس، مقدم على قول حذيفة هذا والله أعلم بالصواب).

ما يستفاد من هذه الحادثة

أولاً: - هذه الحادثة إنما تدلل على أن الأنبياء جميعاً، إنما جاءوا بدين واحد، ألا وهو الإسلام، وأن دعوة الأنبياء واحدة، وهي تحقيق العبودية لله - تبارك وتعالى - على هذه الأرض، وإن اختلفت التشريعات، والتفصيلات في الأحكام بين ديانة وأخرى، فجوهرها واحد، وهو إقرار عقيدة التوحيد، وإرشاد الناس إلى الغاية التي خلقوا من اجلها، وهي العبادة الخالصة لله - تبارك وتعالى - الذي قال في كتابه الكريم :(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[1].

والناظر في كتاب الله - عز وجل - يلاحظ كيف أشار القرآن الكريم إلى قضية وحدة الديانات التي جاء بها جميع الأنبياء- عليهم السلام- .

قال - تعالى - :(لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[2].

وقال - تعالى - :(وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[3].

وقال تعالى :(وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[4].

---

[1] الذاريات 56

[2] الأعراف ،59

[3] الأعراف ، 65

[4] الأعراف ،73 .

وقال تعالى :(وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)[1].

وهكذا في آيات أخرى كثيرة مشابهة، ولا يغيب عن أذهاننا أن التشريعات التي جاءت قبل الإسلام، امتدت إليها يد التحريف والتبديل لحكمة أرادها الله - عز وجل - ثم جاء الإسلام الذي تعهد الله بحفظه، ناسخاً لما تبقى من هذه الديانات.

ثانياً - إمامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء يعني أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وارث الديانات السماوية جمعاء، وأن الأنبياء - عليهم السلام - بإقتدائهم به قلدوه الأمانة العظمى، وكلفوه بحملها للناس كافة، فمن أراد أن يتبع أي نبي سواء أكان موسى، أو عيسى، أو إبراهيم - عليهم السلام - فعليه بالإسلام، فإن الإسلام هو دعوة الأنبياء الأخيرة، التي جاءت ناسخة ووارثة لما سبقها من الديانات، وإن الله تعالى قد ألبس الأنبياء السابقين لبوس الإسلام فقال في حق أنبياء بني إسرائيل:(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا)[2] وهو تأكيد على أن الإسلام هو أصل الديانات، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما وجد عمر بن الخطاب يقرأ في نسخة من التوراة، فغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقال:(والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي) فالإسلام هو الدين الصحيح، الذي شهد الله له، فقال - تعالى:(إن الدين عند الله الإسلام)[3]. وهو الدين الذي يقبله الله - عز وجل - من كل عبد بلغته دعوة الإسلام، ولا يقبل منه غيره.

قال - تعالى - :(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[4].

---

[1] الأعراف ، 85 .
[2] سورة المائدة آية 44
[3] آل عمران ، 19
[4] آل عمران ، 85

فأي شرعة يدين الإنسان، وأي منهج يلتزمه، فلا يقبل منه إلا المنهج الذي ارتضاه الله - عز وجل - إذ قال: (ورضيت لكم الإسلام دينا)[1]

وأن الذين لا يتبعون الإسلام هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، مهما كانت الشرعة التي يتبعونها حتى لو كانت سماوية الأصل، كما هو الحال عند اليهود والنصارى، وصح في الحديث، أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (يدفع يوم القيامة لكل مسلم يهودي، أو نصراني، فيقال :(هذا فكاكك من النار)[2]. فهذه حال أصحاب الديانات التي تستند إلى أصل سماوي لا تشفع لأهلها، ولا تنفع أصحابها، حتى أن أصحابها يفتدى بهم المسلمون، لعتقهم من النار. فكيف بأصحاب المبادئ السفلية الأرضية ؟ التي هي من صنع البشر، ولا تستند إلى أي أصل سماوي، لأن الله - عز وجل - لا يعبد إلا بما شرع، وشرعه اكتمل بالإسلام، فالإسلام هو رسالة الأنبياء الأخيرة.

فإذا كان الإسلام هو الدين الصحيح، وهو الدين الوارث لكل الديانات السماوية السابقة، فلا بد أن ندرك ما هو الإسلام بشكل عام؟ وحتى نعلم المسلم من غير المسلم، فهل الإسلام طقوس وتعاويذ في أقبية المساجد، ثم تحلل في الحياة العامة، في البيع والشراء، والمعاملة والسياسة، والأخلاق، وغير ذلك من أمور الحياة بلا قيود ولا ضوابط، أم أن الإسلام هو صلاة وصيام وحج وزكاة ولا شيء بعد ذلك، كما يفهمه السذج من الناس، وهل يكون الإنسان مسلماً بمجرد أنه ينتسب إلى الإسلام بشهادة الولادة ؟ أو أية وثيقة أخرى، أم يكون مسلماً بالوراثة لأنه ولد من أبوين كانا مسلمين؟ أم هل الإسلام هو مجرد نقاء وبياض في القلب كما يقول بعض السفهاء الذين يعرضون عن عبادة الله مكتفين من الدين ببياض القلوب ونقائها، كما يقولون!!

---

[1] المائدة ، 5 .

[2] رواه مسلم

ليس الإسلام شيئاً مما مر ذكره، الإسلام هو استسلام وانقياد لأمر الله - عز وجل - واجتناب كل ما نهى الله عنه، الإسلام هو: نظام شامل للحياة، بكل أنماطها وأبعادها ومستلزماتها، قال - تعالى - :(ما فرطنا في الكتاب من شيء)[1].

ولقد كان اليهود يحسدون المسلمين في المدينة المنورة على نعمة التنزيل، والشمول الذي امتاز به هذا الدين، قال : - تعالى - في شأنهم :(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[2] فقالت اليهود :(ما ترك محمد شيئاً إلا علمه أصحابه حتى قضاء الحاجة).

فإسلام أخلاق، وعبادة، ومعاملة، واقتصاد، وسياسة، ونظام حكم، وقانون ... الخ، ولا يصلح لهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه.

فإذا كان الإسلام واضح المعالم، فالمسلم كذلك له مواصفات تفرقه عن غيره من الناس، فلا بد له من سلوكيات تثبت له هويته، يقول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث مبيناً تميز شخصية المسلم :(والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)[3] ولقد أنكر الله على أولئك الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، وتوعدهم بالخزي في الحياة الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة، إذ قال - تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى اشد العذاب، وما الله بغافل عما يعملون)[4].

---

[1] الأنعام ، 38

[2] سورة القرة آية 105

[3] رواه الحكم بن سفيان في أربعينه، وابن أبي عاصم في السنة ، وعزاه النووي في (الأربعين) إلى كتاب (الحجة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، كلهم من حديث عبد الله بن عمرو، وصححه النووي؛وأعله ابن رجب في(جامع العلوم والحكم)، وضعفه الألباني بنعيم بن حماد ، لكثرة خطئه .

[4] سورة البقرة آية 85

ولقد ظهر من أبناء المسلمين على امتداد العالم الإسلامي من الأدعياء الذين أرادوا لهذا الدين أن يحبس في أقبية المساجد، على أنه صلاة وتعاويذ، ولا علاقة له بنواحي الحياة الأخرى.

وكان من بين هؤلاء بعض المفكرين، والأدباء والقادة والساسة، ولقد رأينا وسمعنا من القادة من يقول جهاراً وبكل وقاحة: أن لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، بل هناك إجماع بين القادة السياسيين على حصر الإسلام في بعض الطقوس والتعاويذ، والمحاكم الشرعية في الزواج والطلاق، وحكمت الشعوب الإسلامية بقوانين الأرض قوانين الوحل والطين، التي ابتدعها الإنسان على هواه لتحل محل الإسلام في بقية نواحي الحياة الاقتصادية، والسياسية، والدستورية، متأسين في ذلك بالعالم الغربي الذي أقصى الدين الكنسي المحرف عن الحياة، ليحل محله القانون الروماني واليوناني وغيره مما زينه الشيطان لأوليائه.

هذا هو موقف العالم الإسلامي اليوم، كقادة، وحكام ومن دار في فلكهم وتبعهم من في مذهبهم وموقفهم من الإسلام العظيم، الذي نزل لتسير البشرية كلها في ظله، وركبه وعلى نوره، يريدون له أن يكون موءودا في المحاكم الشرعية، في الزواج والطلاق، ولولا البقية الباقية من نور الإيمان في نفوس بعض المسلمين فلا يقبلون بأي تشريع في قضايا الزواج والطلاق، لأقصى زعماء الأمة الإسلام كاملاً عن الساحة، ولا فرق بين من أقصى الإسلام كله، أو جزءاً منه، فهم في الردة سواء ورحم الله الشهيد سيد قطب القائل:" خذوا الإسلام جملة أو دعوه جملة "

ثالثاً - إمامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء - عليهم السلام الذين هم قادة الشعوب، وزعاماتها بحق، الذين لم يستمدوا هذه الزعامة من أي هيئة أرضية، ولم تأت بهم يد أجنبية إلى منصة الزعامة، والقيادة، إن الذي اصطفاهم لهذه القيادة هو الله - عز وجل - وهو الأعلم حيث يجعل رسالته (الله يصطفي من الملائكة رسلاً

ومن الناس)[1] فاجتماع هؤلاء القادة في بيت المقدس، ليصلوا خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وقبولهم بإمامته، فهذا إقرار بإمامة رسول الله، وفي ذلك توجيه وشد للقلوب والإبصار والإسماع نحو هذا النبي الكريم، الذي ارتضاه الله نبياً، وارتضاه الأنبياء لهم قدوة وأسوة وإماماً، هذا النبي الذي صلى خلفه إبراهيم وموسى وعيسى ونوح، وغيرهم - عليهم السلام - واقتدوا به، أفلا نرضاه نحن اليوم وفي كل يوم لنا قدوة وأسوة ؟ أفلا يرضاه شبابنا وحكامنا وقادتنا لهم مثلا يحتذى به ؟

فواعجباً لأبناء المسلمين الذين نراهم معجبين بالساقطين من الممثلين والمغنين أو القادة المفلسين الفاشلين سياسيا وأخلاقيا وسلوكيا!! أو يقتدون بالملاحدة من المفكرين والكتاب المشوهين، ثم ينتقصون هذا النبي العظيم.

إن الإقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس كالإقتداء بأي شخص، سواء كان زعيماً، أو مفكراً، إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة الذي اختاره الله لنا، ثم الأنبياء بعد ذلك اختاروه لهذه المهمة الكريمة، وإن الإقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس من باب النوافل، والاستحباب، بل هو الإسلام، وعدمه هو الخروج على هذا الدين، قال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم)[2] وقال - تعالى - (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[3] وقال: (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله)[4] والنصوص في هذا الباب كثيرة .

لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - خير مثال للتأسي والإقتداء بهذا النبي العظيم، فهذا عبد الله عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - يقلد رسول الله - صلى

[1] سورة الحج آية 75
[2] سورة محمد آية 33
[3] سورة الحشر آية 7
[4] سورة النساء آية 80

الله عليه وسلم - في مشيته، وأن يضع قدمه حيث كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يضع قدمه الشريفة، لقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يعلمون علم اليقين أن لا إيمان إلا بمحبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اكثر من النفس والمال والأهل والولد، لقد فهموا قوله - صلى الله عليه وسلم - :(والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده)[1] ومن هنا جاءت الطاعة والإقتداء، قال الشافعي رحمه الله :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

والصالحون الذين يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه في كل عصر ومصر، يقتدون بقدوة الأنبياء، ويهتدون بهدي إمام المرسلين.

وإمامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء في بيت المقدس، هو بمثابة شد أنظار الناس وقلوبهم، إلى هذا البلد الطيب المبارك ، الذي حظي بهذا المؤتمر العظيم، الذي لم يشهد له التاريخ مثلاً، ولقد سبق الحديث عن قدسية هذه الأرض ما يغني عن الإعادة هنا.

رابعاً - إمامة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء، تعني أن الأنبياء جميعاً تبعاً، لهذا النبي وأن شعوب الأرض قاطبة هي تبع لهذه الأمة المحمدية، وأن الله أراد لهذه الأمة، أن تكون في مركز القيادة والتوجيهية للعالم أجمع، فهي الأمة التي تحمل الدين الذي ارتضاه الله لها وللبشرية، وهي خير أمة بشهادة الله تعالى إذ قال :(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[2] وهي الأمة التي قبل الله شهادتها على الأمم الأخرى. فقال الله تعالى: وكذلك جعلنكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[3] وإن الذي يؤهل هذه الأمة لمركز القيادة والزعامة هو اقتداؤها بالقائد الأول محمد -

[1] رواه البخاري ومسلم
[2] سورة آل عمران 110
[3] سورة البقرة آية 143

صلى الله عليه وسلم - والتزامها بما جاء به من عند الله - تبارك وتعالى - ولقد بين الله مؤهلات هذه القيادة في أمور ثلاثة: (تأمرون بالمعروف)، هذا هو المؤهل الأول، الذي هو وظيفة الأنبياء والأولياء الصالحين والدعاة المخلصين من عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

والمؤهل الثاني هو: (وتنهون عن المنكر) وهو استئصال جذور الشر والفساد والباطل بشتى أشكاله وألوانه وأبعاده.

والمؤهل الثالث: (وتؤمنون بالله). وهو الإيمان الذي لا ريب فيه ولا شك.

هذه هي المؤهلات التي ترشح أمة الإسلام أن تقود العالم أجمع، وأن تسوسه بما يرضي الله - عز وجل - ولئن فقدت الأمة الإسلامية مركز القيادة للعالم في زماننا هذا، فلأن الأمة الإسلامية فقدت المقومات والمؤهلات التي استحقت بها هذه المكانة المرموقة، والذي لا شك فيه أن هذه الأمة تبتعد عن مركز القيادة للعالم، بقدر بعدها وتفريطها بكتاب الله، وبقدر بعدها عن دينها الحنيف، وإنها لتقترب من هذه المكانة، بقدر التزامها واعتصامها بدينها، فالأمة الإسلامية في هذا الزمان إذا كانت تريد أن تسترد مكانتها بين الأمم والشعوب فهي مدعوة أن تراجع حساباتها مع خالقها، ومع دينها الحنيف، حتى تقود هذا العالم من جديد بعد أن بات على شفا جرف هار في وسط محيط مظلم دامس تتقاذفه الأعصاير والأمواج العاتية، ويأتيه الهلاك والدمار من كل مكان، إنه لينتظر الربان الماهر والقيادة الحكيمة، التي تستطيع أن تقود الباخرة إلى بر الأمان، وإن المرشح لهذه المهمة الشاقة، والذي يملك المؤهلات والزاد والنور الذي يبدد ظلمة الليل الحالك، والذي يملك العون الإلهي، إنهم أبناء الإسلام وحملة القرآن الكريم، إنهم أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - الذين طال انتظار البشرية إليهم، وتلهفها لهم، كما تتلهف الأرض الجرز إلى ماء الشتاء.

والإنسان المسلم هو في مركز القيادة، لأنه هو الإنسان الحقيقي الذي يتمتع بالإنسانية بكاملها، فهو الإنسان الذي يحمل دين الفطرة، فالإنسان المسلم هو خلق الله عز وجل، وهو ملتزم بدين الله، فهو رباني في خلقه وتكوينه، وهو رباني في دينه ومعتقده، وأما غير المسلم فهو رباني في خلقه، لكنه شيطان في دينه وعقيدته، فمثله كمثل المذياع أو التلفاز الذي سلم لنجار أو حداد حتى يصلحه وأنى له ذلك فالإنسان صنع الله فلا يصلح إلا بمنهاج الله وشرعه الله:(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1] ومنهاج الله عز وجل هو الإسلام.

والإنسان الذي لا يقوم نفسه بشرع الله ومنهاجه، فانه يفقد إنسانيته تماماً، كجهاز المذياع أو التلفاز الذي سلم للنجار، أو الحداد فهيهات هيهات أن يصلح، بل سرعان ما يسري إليه الفساد، ويزيد في عطبه، والإنسان كذلك إذا سلم أمره لأي مشرع غير الله تعالى فمصيره لن يكون افضل من مصير ذلك المذياع، ولنقرأ هذه الحقيقة، من كتاب الله ، حتى نتبين كيف يخسر الإنسان إنسانيته بتعطيله منهج الله - عز وجل - .

قال تعالى :(إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)[2] وقال تعالى:(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون)[3] وقال تعالى:(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)[4]

وقال تعالى:(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)[5]

---

[1] سورة الملك آية 14
[2] سورة الأنفال آية 22
[3] سورة الأنفال آية 55
[4] سورة الجمعة آية 5
[5] سورة الأعراف آية 175،176

وقال تعالى:(لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)[1].

فالذي بقي على إنسانيته المستقيمة هو الإنسان المؤمن، الذي يعمل الصالحات.

وقال تعالى:(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها وله آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هو الغافلون)[2] أنى لهم أن تستقيم أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم، وهم في يد غير يد صانعهم، تجهل كنههم وتركيبهم، ولما عتو بنو إسرائيل عن أمر الله وعن دينه، واعتدوا على حدود الله ومحارمه، قال في حقهم:(فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)[3] وقال تعالى: (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل)[4] ذلك لأن الذي يترك منهج الله ويعرض عنه لا يستحق أن يكون في زمرة الإنسانية المستقيمة التي خلقها الله بيده الشريفة.

[1] سورة التين آية 4-6
[2] سورة الأعراف آية 179
[3] سورة البقرة آية 65
[4] سورة المائدة آية 60

وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم

لا بد أن نذكر أن الأمة الإسلامية إن تخلت عن حمل أمانة السماء، وتبليغ رسالة الله، وعبادة الخالق حق عبادته، فإنها تصبح عرضة لقانون العزل والاستبدال، كما انك أخي المسلم لو كنت تملك سيارة تنقلك إلى هدفك، وتقضي بها حاجاتك فإن أصابها عطب، ولم تعد صالحة لأداء المهمة التي وجدت من أجلها، فإنك سرعان ما تستبدلها بغيرها، وكذلك أمة الإسلام إن لم تعد تقوم بوظيفتها، وواجبها اتجاه دين الله وواجبها اتجاه شعوب الأرض، في إخراجهم من الظلمات إلى النور، فإنها تصبح عرضة لقانون الاستبدال الإلهي.

وقانون الاستبدال كان في الماضي، إذا تعذر في أمة من الأمم أن تقوم بواجبها ووظيفتها اتجاه - الله عز وجل - فإنها سرعان ما تتعرض للعقوبة الإلهية، فتهلك عن آخرها كما جرى لقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون، وغيرهم الكثير.

أما هذه الأمة فقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن الله عز وجل استجاب لدعائه، وهو ألا يأخذ هذه الأمة بسنة عامة، كما أخذت الأمم العاصية قبل الإسلام، ففي حديث الإمام أحمد عن خباب بن الأرت مولى بن زهرة قال: (وافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة صلاها كلها حتى كان مع الفجر، فسلم من صلاته، فقلت: يا رسول الله لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت مثلها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (أجل إنها صلاة رغب ورهب، سألت فيها ربي ثلاثة خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي - عز وجل - أن لا يهلكنا بما اهلك به الأمم قبلنا! فأعطاينها، وسألت ربي أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعاً فمنعنيها)[1].

وعن شداد بن أوس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:(إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وإني

[1] رواه الإمام أحمد

أعطيت الكنزين الأبيض والأحمر، وإني سألت ربي - عز وجل - أن لا يهلك أمتي بسنة عامة،وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، فقال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فأنه لا يرد، وإني قد أعطيت لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سواهم، فيهلكهم بعامة، حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، وبعضهم يقتل بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً)[1].

فقانون الاستبدال الذي يصيب أمة الإسلام إن أهملت وظيفتها هو والله أعلم هو: تنحيها عن قيادة العالم، وفقدها لمركز القيادة والتوجيه للبشرية، وفقدها القدرة على التأثير فيها، فلما قصرت العرب في فترة ما في واجبها بحمل رسالة الإسلام، وجدنا أن القيادة تحولت إلى العثمانيين، كما تحولت إلى غير العرب في فترات متتالية من تاريخ الإسلام، كما كان على عهد صلاح الدين الكردي، وهكذا فالقيادة لها مؤهلات ومواصفات، من استكملها كان هو القائد دون النظر إلى جنس أو لون أو موطن.

ولما أهملت الشعوب الإسلامية كلها، على شتى ألوانها وأشكالها، وجنسياتها، وظيفتها عادت قيادة العالم إلى الجاهلية من جديد يتقاسمها المعسكر الغربي، والمعسكر الشرقي، كما كانت قبل الإسلام، يتقاسمها الفرس والرومان، وذلك لخلو العرين من الأسود، فأمة الإسلام اليوم مدعوة أن تعود إلى العرين، حاملة معها مؤهلات ومقومات الزعامة والقيادة، حتى تستقيم حال البشرية التي تسير إلى الهاوية.

[1] رواه مسلم عن ثوبان

الفصل الثالث

المعراج

المبحث الأول

رسول الله في السماء

لئن افتخرت دول الشرق والغرب اليوم بإرسالها مبعوثيها إلى القمر، أو لأنها غزت الفضاء الذي يحيط بالأرض، وأرسلت مركباتها إلى المريخ، فواجب هذه الأمة أن تكون أكثر فخراً واعتزازا بنبيها وقائدها، ورائدها ومبعوثها إلى الفضاء الذي تجاوز حدود الأرض وتجاوز حدود القمر،الذي هو جزء من محيط الأرض يدور في فلكها، بل تجاوز كل الأقمار والكواكب والنجوم، التي هي في السماء الدنيا، لأن الله أخصها بالزينة بالنجوم والكواكب، فقال - عز من قائل:(إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب)[1]وقال تعالى أيضا :(ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلنها رجوماً للشياطين)[2] والرسول - صلى الله عليه وسلم - في رحلته قد تجاوز كل الأقمار، والأفلاك، ووصل إلى مكان لا يصل إليه نبي مرسل وذلك في زمن لم يكن فيه مركبة فضائية، ولا طائرة نفاثة.

ولئن كانت دول الكفر تغزو الفضاء اليوم وتصعد إلى القمر من اجل تدمير البشرية وإشغالها في التسابق فيما يسمى (بمشروع حرب النجوم) فإن النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذي جاء رحمة للعالمين، إنما راد الفضاء من أجل إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لإخراجها من الظلمات إلى النور ومن النار إلى الجنة.

ولئن كانت دول الكفر ورائدو الفضاء اليوم، يعودون عن القمر بالحجارة والتراب، وبعض السنن، والمكتشفات التي تسخر لخدمة البشرية في ما يضر وينفع

[1] سورة الصافات آية 6
[2] سورة الملك آية 5

في حدود هذه الدنيا الفانية، فان النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما عاد من السماء بعد أن رأى من آيات ربه الكبرى، عاد بمشاهد من الجنة، ومشاهد من النار، أخبر بها الصادق المصدوق، لتكون للناس نذيرا بين يدي عذاب أليم.

بل عاد بأعظم ركن من أركان الإسلام الذي يتعلق به صلاح أمر الإنسان، في الدنيا والآخرة.

فواجب المسلم أن يعتز وأن يفتخر بهذه الحادثة العظيمة، فإن البشرية مهما تطورت ومهما تقدمت علومها تبقى ضعيفة عاجزة في حدود القدرة الإنسانية العاجزة، فليس لها إلا أن تعلن تبعيتها لهذا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذي تجاوز حدود السمع والبصر والفؤاد، ليرى ما لم تره عين البشر، وليسمع ما لم تسمعه أذن بشر، حيث استمع إلى صريف الأقلام، أقلام الحق وهي تكتب مقادير الخلائق بإذن بارئها وخالقها.

ما أعظمها من رحلة وأكرم به من مرتحل! فإن أحدنا إذا أراد أن يصعد جبلاً أو تلاً يرتفع مائة متر، فإنه يجد في ذلك بالغ المشقة والنصب، لأن هذه هي قدرة الإنسان، وهذا حدود طاقته التي أعطاه الله - عز وجل - أما الارتقاء في السماء، وحيث المسافات التي تقدر بملايين السنوات الضوئية، ناهيك عن الإشعاعات القاتلة بعد حدود الأرض، وانقطاع الهواء الذي هو أمر ضروري لاستمرار الحياة، ولكنها معجزة الله وكفى.

المبحث الثاني:

المطلب الأول

ذكر ما رآه الرسول في المعراج

لقد كان من أغراض رحلة الإسراء والمعراج، هو أن يرى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من آيات ربه الكبرى، التي تتجلى فيها عظمته - تبارك وتعالى - لقد رأى من الآيات البينات التي تزف للمؤمنين البشرى، والعزاء، فهم الذين يعملون بوظيفة الأنبياء، ويحملون أمانة السماء، التي نادى بها أدم ومن تبعه من سلسلة الأنبياء الذين ختموا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولقد رأى من الآيات ما فيه نذير شديد ووعيد عظيم للعصاة المارقين، الذين استحوذ عليهم الشيطان، وغرتهم الحياة الدنيا، فانساقوا وراء غرائزها وشهواتها، وأعراضها الزائلة الفانية.

قال الله - عز وجل - في أول آية في سورة الإسراء في أول آية تتحدث عن الغاية من رحلة الإسراء :

(لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير)[1] وبعد انقضاء الرحلة قال الله - عز وجل - في وصف هذه الرحلة: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى)[2]

والمتتبع للروايات التي صحت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج، يطلع على بعض هذه الآيات العظمى، التي لمسها وشاهدها الصادق المصدوق محمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن في النقاط التالية نجمل ما رآه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم نتناول بعضها، بالدراسة والتحليل:

أولاً - لقد رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم – البراق الذي هو دابة لا تشبهها دابة على سطح الأرض، لا في شكلها التي هي دابة فوق الحمار ودون البغل، فلا هي

[1] سورة الإسراء آية 1
[2] سورة النجم آية 18

حمار من المعروفة للناس، ولا هي بغل من البغال، ففي رواية مسلم، قال - صلى الله عليه وسلم: (أوتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه)[1] ولما كانت هذه الدابة تختلف قي فعلها عن المعهود من الدواب كان لا بد أن تختلف في شكلها، فهي تملك سرعة مذهلة، وهي بهذا الوصف تناسب طبيعة الرحلة الطويلة، في مسلكها، القصيرة في وقتها.

ولقد سبق الحديث عن هذه الدابة وما يترتب على وجودها في الرحلة من عبر.

ثانياً- رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعض مصائر البشر، سواء أكان ذلك المصير حسناً، كما هو الحال في رواية الإمام أحمد أنه - صلى الله عليه وسلم – (دخل الجنة ليلة الإسراء، فسمع في جانبها وحشاً، فقال: ما هذا يا جبريل ؟قال:: هذا بلال المؤذن، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رجع للناس: لقد افلح بلال رأيت له كذا وكذا ..)[2]

أو مصيرا سيئاً، كما جاء في رواية أبى داود عن انس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (لما عرج بي مررت على قوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم، وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم)[3]

ثالثاً - رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في السماوات عددا من الأنبياء المصطفين - عليهم الصلاة والسلام - فقد رأى آدم - عليه السلام - في السماء الدنيا عن يمنيه أسودة وعن شماله أسودة، إذا نظر قبل يمنيه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فأما الأسودة التي عن يمنيه، فهي نسيم بنيه من أهل الجنة، وأما الأسودة التي عن شماله، فهي نسم بنيه من أهل النار.

[1] رواه أحمد ومسلم والترمذي، عن شداد بن أوس.
[2] رواه الإمام أحمد
[3] رواه أبو داود بسند صحيح

ورأى في السماء الثانية عيسى بن مريم، ويحي بن زكريا - عليهم الصلاة والسلام - ورأى في الثالثة يوسف، وقد أوتي شطر الحسن، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم - عليهم جميعاً الصلاة والسلام -. وفي رواية مسلم: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى إدريس في السادسة، وقد خص الله هؤلاء من الأنبياء لفضلهم، وأن تفاوتهم في السموات لتفاوتهم في الدرجات كما قال بعضهم: فآدم في السماء الدنيا لأنه أول الأنبياء، وعيسى في الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدا برسول الله، ويوسف في الثالثة لأن أمة محمد يدخلون الجنة على صورته يوم القيامة، وإدريس في الرابعة لأنها الوسطى وقد رفعه الله مكانا عليا، وهارون في الخامسة لقربه من أخيه موسى، وموسى في السادسة لفضله بالتكليم، وإبراهيم في السابعة بجوار البيت المعمور، لأنه أفضل الأنبياء بعد النبي محمد، ولارتباطه بالبيت العتيق وبنائه له والله أعلم .

رابعاً- رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعض الملائكة منهم جبريل - عليه السلام - الذي صاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذه الرحلة المباركة، ولقد رآه في صورته الملائكية، وهو معنى قول الله - عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى)[1] وروى البخاري عن الشيباني قال: (سألت زرا عن قوله: (فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى)[2]. قال حدثنا عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى جبريل - عليه السلام - له ستمائة جناح، وفي رواية البخاري ومسلم كذلك: (أنه رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض، سادا عظم خلقه ما بين السماوات والأرض)[3].

[1] سورة النجم آية 13-14
[2] سورة النجم آية 9-10
[3] رواه البخاري ومسلم

ورأى من الملائكة مالك - عليه السلام - خازن النار كما جاء في رواية مسلم، عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم (فلما فرغت قال قائل: يا محمد هذا مالك خازن جهنم، فالتفت إليه فبدأني بالسلام)[1].

خامساً: رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - البيت المعمور يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك جدد، لم يسبق لهم أن حجوا - جاء في رواية الإمام مسلم، قال: - صلى الله عليه وسلم - (ثم رفع لي البيت المعمور، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه)[2].

سادساً: رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - سدرة المنتهى والتي ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، وفي رواية انس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال: رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها)[3].

سابعاً: رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء أربعة أنهار، كما جاء في رواية البخاري عن مالك بن صعصعة: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (وإذا أربعة أنهار نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات)[4].

ثامنا: رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج شجرة الزقوم.

---

[1] رواه مسلم
[2] رواه مسلم
[3] رواه البخاري ومسلم
[4] رواه البخاري

روى البخاري عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله عز وجل -: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن)[1] قال: هي رؤيا أريها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء والمعراج، وحكي عن ابن عباس ومسروق وأبى مالك، والحسن البصري وغير واحد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما اخبر قومه: أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم، كذبوه بذلك حتى قال أبو جهل - عليه لعائن الله- هاتوا لنا تمراً وزبدا، وجعل يأكل من هذا بهذا، ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا، وفيه نزل: (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم إنا جعلناها فتنة للظالمين إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين)[2].

تاسعاً: كما أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رأى المصطفين من الملائكة، رأى جبريل ورأى مالك خازن النار، وغيرهما ورأى كذلك المصطفين من البشر، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وإدريس، ويوسف، ويحي، وهارون - عليهم جميعاً الصلاة والسلام - فإنه كذلك رأى من شرار الناس، عاقر ناقة صالح، جاء في الحديث الصحيح، الذي يرويه الإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (ورأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً احمر ازرق جدا، قال: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا عاقر الناقة.

ورأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - الدجال عليه - لعائن الله - وفي رواية الإمام أحمد، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: اسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره، وبعلامة بيت المقدس وبعيرهم، فقال ناس: نحن لا نصدق محمدا - صلى الله عليه وسلم - بما يقول، فارتدوا كفارا،

[1] سورة الإسراء آية 60
[2] سورة الصافات آية 62-65

فضرب الله رقابهم مع أبى جهل، وقال أبو جهل: يخوفنا محمد بشجرة الزقوم، هاتوا تمراً وزبداً فتزقموا.

ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام، سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الدجال فقال: رأيته فيلمانيا أقمر هجان، إحدى عينيه قائمة، كأنها كوكب دري، كأن شعر رأسه أغصان شجرة.

عاشراً - اشتم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الرائحة الزكية الطيبة، التي تنبعث من ماشطة بنت فرعون وأولادها، جاء في الحديث: عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنها - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لما اسري بي مرت بي رائحة طيبة، فقلت: ما هذه الرائحة ؟ قال: ماشطة بنت فرعون وأولادها، سقط المشط من يدها فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون : أبى؟ قالت: ماشطة: ربي وربك ورب أبيك، قالت: أولك رب غير أبى، قالت: نعم ربي وربك ورب أبيك الله. قال: فدعاها، فقال: آلك رب غيري؟ قالت: نعم ربي وربك الله - عز وجل - قال: فأمر ببقرة من نحاس، فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى فيها، قالت: إن لي إليك حاجة. قال: ما هي؟ قالت: تجمع عظامي، وعظام ولدي، في موضع. قال: ذاك لك لما لك علينا من الحق، فأمر بهم فألقوا واحدا، واحدا، حتى بلغ رضيعا فيهم، فقال: يا أمه قعي ولا تقاعسي فأنك على الحق[1].

---

[1] رواه أحمد: 2682، وابن حبان في صحيحه: 2904.
ورواه الحاكم في المستدرك: 3835، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه .
وقال الذهبي في التلخيص : صحيح
المستدرك على الصحيحين مع تعليقات الذهبي في التلخيص: 2/ 538.
جاء في فتاوى موقع الإسلام سؤال وجواب:
وقال ابن كثير في " التفسير " (15/3) : " إسناده لا بأس به " ، وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند (295/4).
وقال الأرناؤوط في تخريج المسند (30/5 - 31 رقم 2821) : " إسناده حسن ، فقد سمع حماد بن سلمة من عطاء قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة " .أ هـ
إذن: القصة صحيحة ثابتة.

الحادي عشر: رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطباء الفتنة، كما جاء في صحيح البخاري، وصحيح مسلم:(مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون) وزاد ابن أبي الدنيا، والبيهقي في رواية لهما: (يقرؤون كتاب الله ولا يعملون به)

هذه بعض المشاهد، التي صح أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رآها، وقبل أن نتناول بعض هذه المشاهد بالتحليل لا بد من **توطئة**:

إن تجربة الإنسان على هذه الأرض، تجربة واحدة، طالت أم قصرت، وأن هذه التجربة التي يعيشها الإنسان على الأرض، هي التي تحدد المصير والعاقبة، فإما إلى روضة من رياض الجنة، في حياة البرزخ، وجنة عرضها السماوات والأرض في الآخرة، وإما حفر من حفر النار في حياة البرزخ، ونار تلظى في الآخرة، وذلك خلود بلا انقطاع ولا استئناف، ولا عودة إلى حياة الدنيا من جديد.

إنها أيام على الأرض، لا تقاس شيئاً بالنسبة للآخرة،(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها)[1]

لكن هذه الأيام هي فترة اختبار وامتحان تحدد النتيجة، وأنت اليوم أيها الإنسان تملك أن تحدد هذه النتيجة، اليوم تسطر العاقبة بيدك، فأنت اليوم تعمل عمل أهل الجنة فتدخلها، أو تعمل بعمل أهل النار فتكون من أهلها ـ والعياذ بالله ـ ..فأنت اليوم تختار طريق الجنة، أو طريق النار، أما يوم القيامة فالأمر كله لله، اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاؤلئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فاؤلئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآيتنا يظلمون)[2] والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، العاقل من اختار طريق النجاة والسعادة، وابتعد عن طريق الشقاء والتعاسة، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

---

[1] سورة النازعات

[2] سورة الأعراف آية 8-9

المطلب الثاني

مصير المغتابين الذين يقعون في أعراض الناس

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لما عرج بي مررت على قوم لها أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم، وفي رواية أخري للإمام أحمد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ونظر - أي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في النار فإذا قوم يأكلون الجيف، قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس!

هذا مشهد من المشاهد التي رآها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو مشهد يصور فئة من العصاة، وهي الفئة التي تطاولت في أعراض الناس، والتي أطلقت لألسنتها العنان، فولغت في لحوم المسلمين، وتتبعت عوراتهم، فاليوم وقد حضروا دار القصاص، كما يحضر الجاني إلى محكمة الجنايات، ولله المثل الأعلى في ذلك اليوم، تتحول أظفارهم إلى أظفار نحاسية، بها يخمشون وجوه أنفسهم وصدورهم جزاء وفاقا، ففي الحياة الدنيا أكلوا لحوم المسلمين فجاءت العقوبة من جنس العمل، أكلوا لحوم غيرهم في الدنيا، فاليوم يأكلون لحوم أنفسهم، وحتى تكون العقوبة أنكى لهم، فإنهم يأكلون من الوجوه والصدور، لا من غيرها، هذه الوجوه الظاهرة التي لا يسترها شيء، تفضح كما كانت تفضح وتهتك أستار المسلمين في الحياة الدنيا.

وفي مشهد آخر لهذه الفئة نفسها، رآها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في النار وهم يأكلون الجيف، نعم في النار التي هي مصير كل المارقين المتطاولين على أعراض المؤمنين، رآهم هناك يأكلون الجيف، إذ أنهم في الحياة الدنيا كانوا يتلمسون عورات المسلمين وكانوا يطلقون ألسنتهم بالكلام الخبيث المنتن، فما أعدله من جزاء أن نجدهم يوم القيامة يوم العدل والإنصاف وهم يبحثون في النار عن الجيف لأكلها.

لأنها معصية خبيثة منتنة، بل هي كبيرة مهلكة، فهل علمت أخي كم هو الربا قبيح في الإسلام؟ إذ جاء في رواية عبد الله بن حنظلة - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية)[1], وأقبح من هذا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم، فقد جاء عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم)[2] وعن سعيد بن زيد - رضي الله عنه - قال :قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم - : (إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)

إن أكثر الكبائر في الإسلام إنما تكون من اللسان، أو قل: من إطلاق اللسان في أعراض الناس من غيبة ونميمة، وسخرية وقذف وهمزة ولمز وكذب إلى غير ذلك، وفي الحديث عن ابن وائل بن عبد الله: أنه ارتقى الصفا فأخذ بلسانه فقال: قل خيراً تغنم، أو اسكت عن شر تسلم، من قبل أن تندم. ثم قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أكثر خطأ ابن آدم في لسانه)[3].

ولا يزال الكثير من الناس يظن: أن الله لا يؤاخذ على قول اللسان، مهما قال، وهذا ما ظنه معاذ بن جبل - رضي الله عنه - عندما قال: أو نحن مؤاخذون بما نقول يا رسول الله؟؟قال:(ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم)[4]

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-:(إن أحدكم يتكلم الكلمة ما يلقى لها بالا ، تكون من سخط الله، فيهوي بها في جهنم سبعين خريفا)[5].

---

[1] رواه الإمام أحمد
[2] رواه أحمد وأبو داود
[3] رواه الشاشي في مسنده والطبراني في المعجم الكبير ، وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب وفي الآداب
[4] رواه الترمذي وقال: حسن صحيح
[5] رواه البخاري ومسلم

نحن نعيش في زمن قل فيه الوازع الديني، فلا تكاد تمر على مجلس إلا وتسمع فيه من يأكل لحوم المسلمين، ويتتبع عوراتهم، ويطعن في أعراضهم، إن هذه الموبقات لا يكاد ينجو منها لسان - إلا من رحم الله - بل هناك في هذا الزمان وسائل إعلام همها تتبع عورات المسلمين، وهناك فضائيات في زمان الهجمة على الإسلاميين، لا عمل لها إلا أعراض الموحدين، وهناك أحزاب ومنها أحزاب دينية، لا تحسن التنظير إلا بالسب على الإسلاميين، والتعرض لهم، والنيل من أعراضهم بالحق وبالباطل، وذلك في زمن الوسائل الحديثة، ومنها وسائل التواصل الاجتماعي التي تصل إلى كل بيت،هذه الظاهرة التي تورث المجتمع المسلم الكراهية، والبغضاء، المجتمع الذي أراد الله له أن يكون كالجسد الواحد في المحبة والمودة والتراحم، وإن من أوجب الواجبات على الدعاة، في هذا الزمن أن يحاربوا هذه الآفات، وأن يستأصلوا هذه الأمراض الفتاكة التي ابتلى بها المسلمون.

والمسلم الذي يعرف الله - عز وجل - والذي يرجو السعادة في الداريين، والنجاة من سخط الله - عز وجل - هو المسلم الذي يمسك لسانه عن هذه الفتنة الجارفة، وهذا المرض العضال، هو المسلم الذي يحصي كلماته، فلا يقول إلا خيراً، ولا ينطق إلا بما يرضي الله - عز وجل - لأنه يعلم أن الله - عز وجل - يحصي كلماته، وأنه سائله يوم القيامة عن كل شيء (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد)[1].

ولنسمع الرسول - صلى الله عليه وسلم -: يحدثنا عن أولئك الذين أطلقوا ألسنتهم في إعراض الناس، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: (صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبر فنادى بصوت رفيع، فقال: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف

[1] سورة ق آية 18

رحله)[1] ونظر بن عمر إلى الكعبة يوما فقال : ما أعظمك ! وما أعظم حرمتك ! ولمؤمن أعظم حرمة عند الله منك)[2]

وعن أبي يرزة الأسلمي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في عقر بيته)[3] . فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ولا بد أن نذكر أن المسلم الذي أكتمل إيمانه، هو المسلم الذي سلم المسلمون من شر لسانه، وهو الذي كف لسانه عن حرمات المسلمين وأعراضهم عن أبى موسى الأشعري - رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله: أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده)[4] وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله، (أي الأعمال أفضل؟قال الصلاة على ميقاتها، قلت : ثم ماذا يا رسول الله؟ قال: أن يسلم الناس من لسانك)[5].

ومن التأكيد على سوء عاقبة للذين يقعون في الأعراض هو أن سور القرآن لم تبدأ بويل إلا في موطنين:

الأول: عند الوعيد للذين يأكلون أموال الناس بالباطل، فقال: (ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)[6]

والثاني: عند الوعيد للذين يتطاولون على الناس بألسنتهم، ويطعنون في أعراضهم، فقال تعالى:(ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده)[7] والويل: كلمة دعاء بسوء الحال[8]، وقيل الويل: هو الخزي، أو العذاب، أو الهلكة، وقيل واد في جهنم[9]، والهمز: هو غيبة الرجل في وجهه، واللمز: هو غيبته من خلفه، أي حال غيابه[10].

---

[1] رواه الترمذي 1955 واللفظ له وأبو داود 4236 وأحمد 18940 والبيهقي الكبرى 247/10 وعبدالرزاق 20251صححه ابن حبان والألباني

[2] رواه الترمذي وحسنه الألباني

[3] رواه الترمذي وقال: حسن غريب

[4] رواه البخاري ومسلم

[5] رواه مسلم

[6] سورة المطففين آية 1،2

[7] سورة الهمزة آية 1،2

[8] التحرير والتنوير لابن عاشور ج 12، ص189

[9] تفسير فتح القدير ج 5 ص492

[10] فتح القدير ج5 ص 492

المطلب الثالث

آدم يبكي على بنيه من أهل النار

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم قال: فذكر حديث الإسراء بطوله فقال:(فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يسار أسودة، قال: فإذا نظر قبل يمنيه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، قال: فقال: مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، قال: قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آدم - عليه السلام - وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه، فأهل اليمين أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى)[1].

هذا آدم - عليه السلام - أبو البشر ومن حوله نسم بنيه فإلى الشمال نسم بنيه من الأشقياء، الذين فرطوا في جنب الله، فتنكبوا طريق الهدى، واتخذوا دينهم هزواً ولعباً، فها هو آدم الوالد الرحيم يبكي حالهم ومآلهم المرير، وأخرتهم البائسة التي هي مدعاة للحزن والبكاء، ثم عن يمينه نسم بنيه من السعداء الذين استقاموا على نهج الله فعرفوا غاية وجودهم في الحياة الدنيا، والذين أقرت قلوبهم بالوحدانية لله - عز وجل - والذين علموا أن البعث حق، وأن النار حق، وأن الجنة حق، وأن ما جاء به الأنبياء حق، وهيئوا الزاد للمعاد، فكلما نظر إليهم أبوهم آدم سره حالهم، وأفرحهم مصيرهم الطيب الكريم في ظل رحمة الله، في جنات عدن، والذين أعد الله لهم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فهل من والد في هذا الزمن وفي كل زمن يفرح ويسر باستقامة أبنائه، وصلاحهم، واعتصامهم بحبل الله، وإقتدائهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟

[1] رواه البخاري

وهل من والد يحزن لانحراف ولده وضلاله ؟ هل من والد يبكي أو يتباكى لفسوق ولده وتقصيره في جنب الله؟ وفي حق الله؟ هل من والد يدفعه حنين الأبوة فيبكي على ولده الذي إن بقي على حاله فهو إلى نار جهنم - والعياذ بالله-؟ هل من والد يرحم فلذة كبده، فيعمل على صلاح أبنائه، فيحملهم على طاعة الله، ويربيهم التربية الطيبة الصالحة والتنشئة السليمة.

والوالد كما أخبرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - له الدور الكبير في تنشئة أولاده التنشئة الصالحة التي تنقذهم من النار، إذ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)[1] فالأبناء أمانة في أعناق الآباء، والوفاء بهذه الأمانة يكون بإخراجهم من الظلمات إلى النور بإنقاذهم من النار. قال - تعالى - في هذا المقام :(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)[2].

أرأيت لو أن أحدنا ألمّ بولده مكروه، أو وعكة صحية، أو مرض كيف يحزن بحزنه، ويتألم بألمه، ويسارع بحمله إلى الطبيب ليخفف من ألمه ومعاناته! فلماذا لا يحزن أحدنا وهو يقدم ولده وقوداً لنار جهنم خالداً مخلداً فيها؟ لماذا لا يحزن أحدنا وهو يرى ولده ينسلخ من دينه ويموت قلبه وهو ينظر إليه، أو يرى ولده يتغنى بمبدأ أرضي هابط، أو يلحق بذاك الحزب الشيطاني الخبيث، فأي أبوة هذه؟ وأي شفقة هذه؟ وأي رحمة هذه؟ من والد يرى النار تستعر بولده ولا يطفئها.

فوالد من هذه الشاكلة في أمس الحاجة أن يبحث عن ضميره المفقود، وأن يبحث عن إحساسه المعدوم، وأن يراجع رصيده الإيماني إن وجد، وأن يبكي على نفسه، قبل أن يبكي على ولده، وأن يقوّم نفسه قبل أن يفكر في غيره، لأن فاقد الشيء لا يعطيه لغيره، فالوالد الذي لا يحرص على أن يخرج نفسه من النار لا يهمه ولده

[1] رواه البخاري ومسلم
[2] سورة التحريم آية 6

أنى كان سلوكه، وأنّى كان حزبه! وكيفما كان معتقده! والوالد الذي لا يسعف نفسه بحملها على طاعة الله، لا يسعف ولده، فيا أيها الذين آمنوا، أيها الآباء قوّموا أنفسكم أولا بما يرضي الله، يسهل عليكم بعد ذلك تقويم الأبناء وتقطعون بذلك نصف الطريق في تربية أبنائكم، لأن الأبناء يقتدون بآبائهم ويقلدونهم في الخير والشر، من هنا كان خير وسيلة للتربية القدوة الحسنة.

ولا بد أن يدرك الآباء: أن الولد الصالح الذي تنشئه على طاعة الله - عز وجل - هو صدقة جارية ، تنتفع به من بعد الموت لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: (إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، منها ولد صالح يدعو له)[1]، فمن مات وترك ذرية صالحة فكأنه لم يمت، وكما أن الولد الصالح صدقة جارية فإن الولد الطالح الفاسد الضال سيئة جارية إن كان إفساده ناشئ عن التربية الفاسدة التي ربّي الوالد ولده عليها، فكان للوالد دوره في انحراف ولده وضلاله، والله أعلم.

ما أحوجنا أخوة الإسلام، أن نبكي أو نتباكى على حالنا! ما أحوج قلوبنا إلى دمعة عين تنهمر على وجنة أحدنا من خشية الله!! فنجلو بها القلب من ران الآثام والذنوب، وننقذ بها أجسادنا من نار تلظي، ونطفئ بها غضب المولى - عز وجل - وفي الحديث عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع)[2] وعن ريحانه - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – (حرمت النار على عين دمعت أو بكت من خشية الله)[3]، فهل من دمعة تفرحك يوم يحزن الناس، وتسعدك يوم يشقى الآخرون؟ وتضحكك يوم يبكى التعساء الدموع الغريزة، حتى إذا انقطعت دموعهم يبكون الدماء، كما جاء في الحديث عن انس بن مالك - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – يقول:(يا

[1] رواه مسلم
[2] رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح ، وأخرجه النسائي والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
[3] رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد

أيها الناس: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فإن أهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم من وجوههم، كأنها جداول حتى تنقطع الدموع، فتسيل الدماء ،فتقرح العين فلو أن سفناً أزجيت فيها لأبحرت)[1].

[1] رواه ابن ماجة

المطلب الرابع

لقاء الرسول بالأنبياء

من المشاهد التي صح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد رآها، هي رؤيته لبعض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كما جاء في الصحيحين أن: الرسول - صلى الله عليه وسلم - :(رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى عيسى ويحي في الثانية، ويوسف في الثالثة، وقد أوتي شطر الحسن، وفي الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم - عليهم جميعاً الصلاة والسلام)[1].

فهذا لقاء كريم مبارك، في رحلة مباركة كريمة، لقاء مع المصطفين الأخيار، مع سلسلة الدعاة إلى الله - عز وجل - الذين حملوا النور والهداية للبشرية لإخراجها من الظلمات إلى النور، وإن لقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهم له بمثابة العهد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمواصلة السير على الطريق، وإتمام هذا الصرح النبوي العظيم، يصدقه ما روي عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم قال:(مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة، لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه، ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة)[2]، وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها

[1] رواه البخاري ومسلم
[2] رواه البخاري

فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة !، فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء عليهم السلام)[1].

وإن هذا اللقاء بمثابة تسليم الراية للرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي جاء للناس كافة، أبيضهم، وأسودهم، عربهم وعجمهم، ولقد كان كل نبي يرحب برسول الله - صلى الله عليه وسلم - الترحيب الذي يليق بمقام النبوة الكريم، فهذا آدم - عليه السلام - قال مرحبا:{ مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح)[2].

ومن الملاحظ أن الكثير من الأنبياء الذين رآهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - هم من أنبياء بني إسرائيل، منهم موسى، وهارون، وعيسى، ويحي، ويوسف، - عليهم السلام جميعاً - وهذا تأكيد لأفضلية هؤلاء الأنبياء على غيرهم، وكما هو معلوم فإن عدداً كبيراً المذكورين في القرآن الكريم هم من أنبياء بني إسرائيل، فقد يظن بعض الناس جهلا: أن هذا دليل على اصطفاء بني إسرائيل، وتكريمهم، وتشريفهم على بقية شعوب الأرض، خاصة ونحن في زمن نسمع فيه دعوى بني إسرائيل: أنهم شعب الله المختار، الذين اصطفاهم وكرمهم على بقية الشعوب، هذا التصور العنصري الذي يرفضه كل دين ويأباه كل عقل سليم!!

ودعوة الاصطفاء لبني إسرائيل دعوة قديمة، ولا تزال قائمة، ففي هذا الزمان يزعمون بل ويتشدقون في إعلامهم أنهم شعب الله المختار، وأن دمهم ليس كدم بقية البشر، ونحن لا ننكر أن بني إسرائيل فضلوا في الزمان الغابر على زمان موسى وبعض الأنبياء، لما كانت الأمم تغط في الضلال والجهل، وكان يهود ينعمون بدين سماوي، أما في هذا الزمان كيف يكونون شعب الله المختار وفي مدينة تل أبيب وحدها أكثر من مئة بيت دعارة مرخص! غير البيوت الخارجة على القانون، فهم بهذه الحقيقة شعب الشيطان العاهر الزاني!!

---

[1] رواه البخاري ،ومسلم ، والترمذي ، بنحوه .
[2] رواه البخاري ومسلم

فهل تدل كثرة الأنبياء الذين بعثوا في بني إسرائيل على صدق هذه الدعوى وهذا الزعم؟.

من المعلوم أن مهمة الأنبياء هي: إخراج الناس من الظلمات إلى النور، مهمتهم هي تقويم اعوجاج، وتعديل انحراف البشرية، وكلما ضلت البشرية وانحرفت، كلما زادت حاجتها إلى مصلح يقومها، ويعدل أمرها، ويحملها على طاعة الله، فكثرة الأنبياء في أمة ما، هو دليل قاطع على كثرة انحرافها، ومعاصيها والتوائها، يقول الله - عز وجل - في سورة يس:(واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا انّا إليكم مرسلون)[1] فالله - عز وجل - لم يبعث نبيا جديدا، في تلك القرية، إلا بسبب زيادة في التكذيب، وزيادة في الكفر والعناد، ولو آمن أهل القرية مع النبي الأول لما احتاجوا إلى ثاني، وثالث، وهكذا.

فالنبي تماماً كالطبيب الذي لا يحضر إلا للعلاج مع الفارق أن الأطباء يعالجون الأجساد، والأنبياء يعالجون القلوب والسلوك، فازدحام الأطباء، وكثرتهم تعني استفحال الأمراض والأوباء، وكثرة الأنبياء في أمة ما تعني استشراء الفساد، وكثرة الزيغ والانحراف.

وقد يسيء البعض فهم بعض الآيات التي صرحت بأن الله فضل بني إسرائيل على العالمين، منها قول - الله عز وجل - :

(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين)[2] ،

[1] سورة يس، آية 13-14
[2] سورة الجاثية 16

وقال تعالى:(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين)[1]، ونلاحظ هنا أن الأخبار جاء بلفظ التذكير مما يدل على أن الاصطفاء كان في الماضي في فترة من الفترات، لما لم يكن على الأرض أهل دين وإيمان إلا هم، ولو كان هذا التفضيل سرمدي، لما احتاج الأمر إلى تذكير، لقد كان هذا التفضيل لما كان اليهود يلتزمون بدين الله على عهد موسى وداود وسليمان، وغيرهم، ولمّا فرطوا في دين الله، وقصروا في التوراة التي أنزلت على موسى، قال الله فيهم :

(مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)[2]

وقال تعالى:(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)[3]

وقال تعالى:(ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله)[4]

وقال تعالى:(ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين)[5]

وقال تعالى :(وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت)[6] ، يقول سيد قطب رحمه الله في الظلال :(تفضيل بني إسرائيل كان موقوتا بزمان استخلافهم، واختيارهم، فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءه، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم، فقد أعلن الله عليهم حكمه، باللعنة، والغضب، والذلة، والمسكنة، وقضى عليهم بالتشريد، وحق عليهم الوعيد).

[1] سورة البقرة آية 47
[2] سورة الجمعة آية5
[3] سورة المائدة آية 78
[4] سورة البقرة آية 61
[5] سورة القرة آية 65
[6] سورة المائدة

ولقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام - يعني أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن معه من المؤمنين أولى بهؤلاء الأنبياء من أي أمة أخرى، بما في ذلك بنو إسرائيل، فالأنبياء هم الناجون السعداء في ظل رحمة الله - عز وجل - ولا ينجو من الناس بعد أن بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا المسلمون (إن الدين عند الله الإسلام)[1] (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)[2]

بل إن الأنبياء جميعا كانوا مسلمين واقرأ إن شئت قوله تعالى: (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذي أسلموا للذين هادوا)[3] فقد ألبس الله أنبياء بني إسرائيل لباس الإسلام دون قومهم الذين وصفهم بالذين هادوا.

فالمؤمنين برسالة الإسلام هم أولى الناس بكل الأنبياء لأن أمة الإسلام على دين الأنبياء جميعاً، وهو الإسلام، وصدق الله العظيم إذ قال:(إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا)[4].

ولا يخفي موقف موسى - عليه السلام - كيف أنه رحيم بهذه الأمة، فعندما فرضت الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج، فرضت خمسين صلاة، فما كان من موسى - عليه السلام - إلا أن أرشد رسولنا - صلى الله عليه وسلم- لطلب التخفيف، وقد تحقق هذا المطلب، حتى أصبحت الصلاة خمس صلوات، والرواية كما جاء في البخاري، قال: الرسول - صلى الله عليه وسلم -:(ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت بموسى، فقال: بما أمرت؟ فقلت بخمسين صلاة كل يوم. قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل اشد المعالجة، فارجع إلى ربك فأساله التخفيف لأمتك)[5] فهذا موقف المشفق الرحيم والناصح الأمين بأمة السلام.

---

[1] سورة آل عمران آية 19
[2] سورة آل عمران آية 85
[3] سورة المائدة آية 44
[4] سورة آل عمران آية 96
[5] رواه البخاري ومسلم

ذكر ما رآه الرسول من المصائر الحسنة

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: ليلة أسري برسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(دخل الجنة فسمع في جانبها وحشاً، فقال: يا جبريل، ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - حين جاء إلى الناس قد افلح بلال رأيت له كذا وكذا)[1].

رضي الله عنك يا بلال، يا من تحديت كبرياء الجاهلية بعقيدة التوحيد، يا من تحطمت على صلابة دينيك وعقيدتك كل أحقاد الجاهلية وطغيانها، وجبروتها، يوم كنت تحمل إلى رمضاء مكة، فتلقى على الرمال المحرقة تحت أشعة الشمس الملتهبة، وتوضع الصخرة الكبيرة على بطنك، أو على ظهرك، والسياط تنهال على جسدك حتى تكفر بالواحد الأحد، وحتى ترجع عن دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وتعبد اللات والعزى، وأنت لم تزل تعلنها مدوية في الآفاق، في آفاق الأرض، في أفاق التاريخ: (أحد ..أحد) هذا النداء الكريم الذي اجتث جذور الشرك والكفر من جزيرة العرب في بضع سنين، هذا النداء الذي اقتلع الوثنية من تلك الأرض المباركة إلى الأبد.

لم يكن فلاح بلال- رضي الله عنه وأرضاه - بالقليل، فلقد كان بلال الحبشي عبداً عند أمية بن خلف المشرك، وما أن تسرب نور الأيمان والهداية إلى قلب بلال حتى أقرت كل ذرة منه بلا اله إلا الله، ولمّا كان بلال مملوكاً، ومن الضعفاء الذين لا يملكون حيلة لذا ذاق من المحنة والأذى، والعذاب ما لم يتعرض له إلا نفر قليل من شاكلة بلال، كآل ياسر - رضي الله عنهم جميعاً - وغيرهم من الضعفاء والسابقين

[1] سبق تخريجه

إلـى الإسـلام، لقـد ذاق بـلال فـي سـبيل دينـه مـا يفـوق التصـور البشـري مـن الأذى والمحنة، ولكنه كان ولم يزل قدوة في الصبر والثبات على العقيدة لكل الموحدين، لقد افلح بلال لمّا عجزت قوى الظلم والجور والمكر أن تزحزحه عن دينه قيد أنملة، وبعد أن اخفق الطغاة من نزع فتيل الإيمان قلبه، وبعد أن خرج من المحنة أقوى إيمانا وأصلب عقيدة.

فيا دعاة الإسلام، إن كنتم تواجهون الشدائد والمحن، فدونكم بلال الذي كان عنوان الصبر والمصابرة والثبات على عقيدة التوحيد....أحد ..أحد ..أحد !!! هذه الكلمات التي أصبحت بصبر بلال وإخوانه منهاجاً ودستوراً للبشرية، فلا تضعف همتكم، ولا تفتر عزيمتكم، ولا تلين قناتك، فصبراً في سبيل الله صبر بلال، فإن عذاب الدنيا نزهة مع عذاب الآخرة، وما الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة إلا ساعة من نهار.

فيا دعاة الإسلام اليوم وفي كل يوم كونوا كالذين قال الله فيهم :(كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين *وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في امرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)[1]

كيف لا يفلح بلال؟ وهو في كل نداء إلى الصلاة كان ينادي حي على الفلاح ..حي على الفلاح ..فهل نلبي هذا النداء المبارك ؟ حتى نكون من المفلحين؟ هل نلبي هذا النداء الكريم ؟ حتى نسعد بصحبة بلال وصحبه - رضي الله عنهم أجمعين - في ظل رحمة الله، اللهم إنا نسألك ذلك.

[1] سورة آل عمران آية 146-148

أمة الإسلام أكثر أهل الجنة

عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعه: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:(ثم انطلقنا حتى انتهينا إلى السماء السادس، فأتيت على موسى - عليه السلام - فسلمت عليه، فقال :مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزته بكى، فنودي ما يبكيك ؟قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي)[1].

إن الله - عز وجل - قد خص أمة الإسلام وحباها بالكثير من المزايا التي ليست لغيرها من الأمم، ولقد خصها الله برسالة الإسلام الخالدة، التي جاءت شاملة للمكان والزمان، فهي للناس كافة على هذه الأرض، ومن مبعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد تعهد الله بحفظها فلا تمد إليها يد التبديل والتحريف، كما جرى لغيرها من الرسالات السابقة، التي بدلت وغيرت، وحرفت لحكمة أرادها الله - عز وجل -، ولما كان الإسلام كذلك من الشمول لكل الناس كان من الطبيعي أن تكون أمة الإسلام هي أكثر الأمم دخولاً الجنة.

في الحديث عن انس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)[2] وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة،

[1] رواه البخاري
[2] رواه مسلم

وسأخبركم عن ذلك. ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو شعرة سوداء في ثور أبيض)[1].

وفي الحديث عن بريدة بن الخصيب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة منها ثمانون صفاً)[2].

ولا تعارض بين هذا الحديث وما قبله، كما يقول بن قيم الجوزية فالرسول - صلى الله عليه وسلم رجى أولا أن يكون المسلمون شطر أهل الجنة فأعطاه الله - سبحانه وتعالى - ذلك وزاد عليه سدساً آخراً والله أعلم).

ويناسب هذا المقام، أن نذكر أن أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - هي أول الأمم دخولاً الجنة يوم القيامة، ففي الحديث عن أبى هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم)[3]

وعن عمرو بن الخطاب - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى ادخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي)[4] فلا بد لأمة الإسلام أن تستشعر بأفضليتها، واصطفائها على بقية الأمم، وهذا واضح في قول الله - عز وجل - :(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[5].

---

[1] رواه مسلم
[2] رواه الإمام أحمد وصححه الألباني
[3] رواه البخاري ومسلم
[4] رواه الدارقطني
[5] سورة آل عمران آية 110

المطلب السابع

الإسلام دين الفطرة

في رواية البخاري، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم -:(ثم رفع لي البيت المعمور، ثم أتيت بإناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال جبريل: هي الفطرة أنت عليها وأمتك)

وفي رواية للإمام أحمد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم قال:(أوتيت بإناء من خمر وإناء من لبن) ولم يذكر العسل، وأن هذا كان في بيت المقدس قبل المعراج.

وفي رواية الحافظ البيهقي: أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عرض عليه في بيت المقدس الخمر والماء واللبن، إذ جاء بلفظ الحديث (حتى آتيت إلى بيت المقدس فعرض علي الخمر والماء واللبن، فتناولت اللبن، فقال جبريل:(أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك) وفي رواية البيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلاً ذكر: اللبن، والخمر، ولم يذكر الماء، أو العسل.

أما هذا التباين فيما عرض على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهل كان المعروض خمراً ولبناً وعسلاً، كما هو في رواية البخاري، أم كان خمراً ولبناً، كما هو في رواية احمد، أم كان خمراً وماءاً ولبناً، كما هو في رواية البيهقي، وهل كان ذلك في بيت المقدس كما نص الأمام احمد، والبيهقي، وابن جرير، أم كان في السماء كما نص البخاري ومسلم، فليس هناك كبير خلاف، فقد يكون هناك تعدد في العرض، فتعدد المكان، وتعددت بذلك الأصناف والله أعلم، وكما هو واضح فاللبن جاء في كل الروايات، وأن اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد وقع عليه كما

هو في كل الروايات التي ذكرت هذه القضية، وهذه الاختيار كان له معنى عظيماً ورمزاً كريماً.

فالدين الإسلامي هو دين الفطرة، الدين الذي يناسب الطبيعة البشرية، فالإنسان هو خلق الله وصنعته، وأن الله يعرفه حق المعرفة:(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1] فأنزل الله له من الدين ما يناسب طبيعته، ويلائم صنعه وصدق الله العظيم، إذ قال: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)[2].

يقول سيد قطب - رحمه الله - في تفسير هذه الآية :(وهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين، وكلاهما من صنع الله وكلاهما موافق لناموس الوجود، وكلاهما متناسق مع الأخر في طبيعته واتجاهه، والله الذي خلق القلب البشري هو الذي انزل إليه هذا الذين ليحكمه ويصرفه، ويطبِّ له من المرض ويقومه من الانحراف، وهو أعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، والفطرة لم يرده إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة، فطرة البشر وفطرة الوجود).

وفي الحديث عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: إن الرسول خطب ذات يوما، فقال: (إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، فما علمني في يومي هذا: (كل ما نحلته عبادي حلال، واني جعلتهم حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم)[3].

---

[1] سورة الملك آية 14

[2]

[3]رواه مسلم والنسائي وأحمد

رؤية الملائكة

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل - عليه السلام - فقيل: من هذا؟ قال جبريل: قال: ومن معك ؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم - قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم - عليه السلام - مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون آلف ملك لا يعودون اليه)[1].

أمام هذا العدد العظيم الهائل من الملائكة الأبرار، الذين يسبحون بحمد ربهم ولا يفترون، والذين لا يعصون الله ما آمرهم ويفعلون ما يؤمرون، أمام هذا الكم الهائل من الجند الطائعين الحاجين إلى بيت الله المعمور، نستشعر عظمة مالك الملك الذي له ما في السموات وما في الأرض، والذي له من الجند ما لا يعلمه إلا هو - عز وجل – (وما يعلم جنود ربك إلا هو)[2] فمن أنت أيها الإنسان في هذا الوجود ؟ من أنت أمام هذا الجند ؟ وما عبادتك مع عبادتهم؟ ألم تعلم فوق هذا أن الله غني عنك وعنهم كذلك، فهو الغني عن العالمين، لا تزيد عبادتك وعبادتهم في ملكه شيئاً، فعبادتك مردها إليك ونفعها عائد عليك (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها)[3].

ونلحظ في هذه الرواية: أن الملائكة يحجون إلى البيت المعمور مرة واحدة لا يزيدون عليها، فما اقرب الشبه بين هذا الواجب الكريم وبين الحج الذي فرض علينا نحن المسلمين، إذ فرض الله علينا أن نحج مرة واحدة في العمر، نزور فيه بيت الله العتيق في مكة قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، هذا البيت الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيت المعمور، فقد وجدا لهدف واحد، وهو عبادة الله - عز وجل - ثم أن إبراهيم

[1] أصل هذه الرواية في صحيح مسلم
[2] سورة المدثر آية 31
[3] سورة الجاثية آية 15

هو الذي وضع القواعد من البيت العتيق، هو وولده إسماعيل، فلقد رآه الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء مسنداً ظهره إلى البيت المعمور في السماء السادسة، فالذي طهر البيت الحرام ورفع قواعده، ونادى بالحج إليه أول ما نادى، هو أهل لأن يسند ظهره إلى البيت المعمور، الذي تحج إليه الملائكة، فالجزاء من جنس العمل.

لقد رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - جبريل - عليه السلام - على صورته الملائكية وله ستمائة جناح، ففي رواية البخاري ومسلم: (رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض، ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض)[1] وصدق الله إذ قال : (جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء)[2].

إنه جبريل - عليه السلام - صاحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - في رحلة الإسراء والمعراج، وهو الروح الأمين الذي نزل بالوحي من عند الله، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم ثمان مرات باسم "الروح "والروح الأمين، والروح القدس، والذي يدل على أن الروح القدس هو جبريل - عليه السلام - ما جاء في صحيح البخاري من رواية بن هريرة - رضي الله عنه - أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وضع لحسان بن ثابت منبراً في المسجد فكان ينافح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والرسول يقول: اللهم أيد حسان بروح القدس، كما نافح عن نبيك). وفي بعض الروايات أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال لحسان: (اهجهم أو هاجهم وجبريل معك)[3] وجاء في شعر حسان بن ثابت.

وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس به خفاء

وقال القرطبي :عن مجاهد: أن القدس هو الله - عز وجل – وروحه: جبريل، وقال السدي: القدس هي البركة، وقال العوفي: عن بن عباس - رضي الله عنهما - :

---

[1] رواه البخاري ومسلم

[2] سورة فاطر آية 1

[3] رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد

القدس: هو الطهر، وقال الزمخشري: الروح القدس هي: الروح المقدسة، وذكر اسم جبريل في القرآن ثلاث مرات، وذكر باسم الوحي كذلك.

وجبريل - عليه السلام - هو الذي كان ينزل بالوحي من عند الله إلى أنبيائه، وكانت اليهود تقول: جبريل هذا عدونا لا ينزل إلا بالحرب والشدة والقتال، وفيهم نزل قول الله تعالى: (قل من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين)[1].

ولم يذكر القرآن الكريم من الملائكة بأسمائهم سوى جبريل ، وميكال ،ومالك خازن النار عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

[1] سورة البقرة آية 98

المطلب التاسع

الشجرة الملعونة

جاء في رواية البخاري، عن بن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله - عز وجل –(وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا)[1] قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسرى به، والشجرة الملعونة، هذه شجرة الزقوم, وأخرج ابن أبى حاتم والبيهقي، عن ابن عباس قال: لما ذكر الله - عز وجل - شجرة الزقوم خوف به هذا الحي من قريش، فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذي خوفكم به محمد؟ قالوا: لا، قال: الثريد بالزبد، وفي رواية أخرى التمر بالزبد، أما لئن أمكننا منها لنزقمنها زقما " فانزل الله - عز وجل - "والشجرة الملعونة " وأنزل: (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم)[2] ..

ورد ذكر هذه الشجرة القبيحة في كتاب الله - عز وجل - باسم شجرة الزقوم، والشجرة الملعونة في أربعة مواطن، إذ قال الله تعالى: (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم * إنّا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في اصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون)[3] شبه الله - عز وجل - هذه الشجرة برؤوس الشياطين، رغم أن الشياطين ليست معروفة للمخاطبين، ولكنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر، من هنا شبه الله - عز وجل - غائبا قبيحا بغائب مستقبح.

---

[1] سورة الإسراء آية 60
[2] سورة الدخان43-44
[3] سورة الصافات آية 62-66

وجاء في الرواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: تلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله - عز وجل -: (اتقوا الله حق تقاته)[1] فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟!! }وفي رواية الحاكم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (والذي نفسي بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الأرض لأمرت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟)[2].

رغم قبح هذه الشجرة وبشاعتها وسوء طعمها، فإن أهل النار يوم القيامة يأكلون منها، فيملئون منها البطون، إذ قال الله تعالى:(لآكلون من شجر من زقوم، فمالئون منها البطون)[3] وهي تغلي في البطون كغلي الحميم (إن شجرة الزقوم طعام * الأثيم * كالمهل يغلي في البطون)[4] إنها تغلي في البطون كالزيت العكر لشدة مرارتها ورداءتها.

ماذا ينتظر العتاة الظلمة الذين يعدون بطونهم لهذا النكال؟ ماذا ينتظر العصاة الفسقة، الذين أضلهم الشيطان وزين لهم سوء أعمالهم، إنهم ينتظرون يوماً يحرم عليهم فيه الطعام والشراب: (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمها على الكافرين)[5].

فليس لهم في ذلك اليوم غير الزقوم، الذي يغلي في البطون، تلك البطون التي طالما أكلت حراماً وسحتاً، فهي اليوم لا تأكل غير الزقوم والضريع والغسلين، ولا تشرب غير الحميم والغساق والصديد، أعاذنا الله من النار وما فيها من العذاب.

---

[1] سورة آل عمران آية 102
[2] رواه الترمذي والحاكم وقال: الترمذي حس صحيح
[3] سورة الواقعة آية 52،53
[4] سورة الدخان آية 43-45
[5] سورة الأعراف آية50

خطباء الفتنة

إن الخطابة مهنة جليلة، وعمل كريم مبارك، ولها في النفوس تأثير كبير، وأثر بالغ في كل المجتمعات، وإن الخطيب المصقع يعمل في المجتمعات وفي الجماهير ما تعجز عنه الجيوش، وإذا استغل قدرته في مناصرة الباطل، فهو يهدم ما يعجز عنه الزنادقة وجيوش العدو، فلا غرابة أن يخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالحالة المأساوية التي آل إليها خطباء الضلال والفتنة يوم القيامة، لسوء فعلهم وعاقبة أمرهم، رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطباء الفتنة، جاء في صحيح البخاري، وصحيح مسلم: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون) وزاد ابن أبي الدنيا، والبيهقي في رواية لهما: (يقرؤون كتاب الله ولا يعملون به)

الفصل الرابع

فرضية الصلاة في السماء

في هذه الرحلة المباركة فرض الله - تبارك وتعالى - على المسلمين، أعظم ركن وخير عبادة فرضها هناك في السماء، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى بعد السماء السابعة، حيث جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، إن فرض الصلاة في السماء وليس على الأرض، تحمل في طياتها مدلولات عظيمة، ودروس كريمة طيبة، فالأحكام كلها فرضت على الأرض، وغالبيتها في العهد المدني بعد الهجرة إلا الصلاة فرضت في العهد المكي وفي السماء لا على الأرض، وإن استدعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليعود بهذا التكليف الكريم من رب العزة - تبارك وتعالى - له إيحاءاته ودلالاته.

جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم وفي غيرهما من كتب المحدثين: أن الله - تعالى - فرض الصلاة أول ما فرضها خمسين صلاة، في كل يوم وليلة، فعاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهذا التكليف ومر على نبي الله موسى فأخبره بما فرض عليه وعلى أمته من الصلاة، فنصحه نبي الله موسى أن يسأل ربه التخفيف، لأن أمة الإسلام لا تطيق ذلك، وقد كان له تجربة مع قومه، فاستجاب الله لطلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - فخففت الصلاة حتى أصبحت خمس صلوات، على الحالة التي نؤديها اليوم وهي خمسون في ثوابها وأجرها.

فأي ملك أو زعيم يريد أن يكلف مندوباً عن بلده أو سفيراً في بلد آخر بأي أمر، فإن هذا الزعيم يبعث بتلك التكاليف بالوسائل المعروفة من رسالة، أو اتصال، أو يبعث رسولا إلى غير ذلك، ولكنه إذا أراد أن يكلفه بأمر مهم وعظيم، فإنه سرعان ما يبعث إليه ليحضر إلى مركز القيادة والتوجيه ليتلقى هذا التكليف - ولله تبارك وتعالى المثل الأعلى - فلما أراد أن يكلف أمة الإسلام بهذا التكليف العظيم، سرعان

ما أحضر الرسول - صلى الله عليه وسلم قائد الأمة ومبعوث العناية الإلهية في الأرض، أحضره هناك إلى السماء ليفرض عليه وعلى أمته الصلاة المكتوبة، أعظم عبادة وأفضل طاعة في الإسلام، وفرضية الصلاة في السماء يوحي لنا ما يلي :

1 - فرضت الصلاة في السماء حتى تكون معراجاً للمؤمنين بأرواحهم، وقلوبهم، ولتكون قلوب المؤمنين وأرواحهم مشدودة إلى السماء في كل صلاة، وحتى يتحرر الإنسان من الطين الذي خلق منه باديْ ذي بدء، ويسمو بروحه حيث النفخة العلوية من روح الله - تبارك وتعالى - فرضت الصلاة هناك في السماء حتى يكون المؤمن حاضراً هناك في كل صلاة، بعيداً عن مشاغل الدنيا وأعراضها الزائلة، وحتى يصبوا إلى النعيم الدائم الذي لا ينقطع في جنات الله وكنف الرحمة في جنة المأوى عند سدرة المنتهى.

وإن العروج بالقلوب إلى الله - تعالى - في كل صلاة يتوقف عليه صحة الصلاة وسلامتها وتمامها في الأجر والثواب، وقد جاء في الحديث، عن عقبة بن عامر - رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما منكم من أحد يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيركع ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجه فقد أوجب له، فقلت بخ بخ!! ما أجود هذه)[1]

وفي رواية الحاكم: (ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: في صلاته فيعلم ما يقول، إلا انقلب وهو كيوم ولدته أمه)[2] وقوله أوجب له - أي أتى بما يوجب له الجنة.

وقوله: يقبل عليها بقلبه، وكذلك قوله: فيعلم ما يقول: يعني أنه حاضر في صلاته مستشعراً أنه يقف بين يدي ملك الملوك، ولا ينصرف بعقله، وقلبه عن صلاته، ولا يسرح بفكره في وحل الدنيا وزخارفها وأعراضها أثناء تأدية هذه الفرضية.

---

[1] رواه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن خزيمة في صحيحة

[2] رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد

وكم من المصلين يدخلون الصلاة بتكبيرة الإحرام فتبقى أجسادهم في الصلاة مع الإمام في المسجد، ثم تغفل قلوبهم وتسرح عقولهم، فيبيعون ويشترون ويبيعون، ويشتغلون في المال والأهل والولد، كل ذلك بفكرهم وعقولهم، وقد ينسى أحدهم مسألته منذ زمن بعيد، فلا يذكرها إلا في الصلاة، ويظن هذا المصلي: أن هذا فتح رباني، ولا جرم أن هذا فتح شيطاني واستحواذ من الشيطان. فالشيطان يريد أن يصرف المصلي بعقله وفكره عن الحضور في الصلاة وعن الخشوع فيها بأي أمر، حتى لو كان نصيحة دينية أو دنيوية ليصرف هذا المصلي عن دينيه إلى ما هو أدنى، وقد يستمر المصلي سارحاً لا يتذكر الصلاة إلا عندما يسلم الأمام، عندها يتذكر أنه كان في صلاة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضعف الإيمان، وغفلة القلب، وانشغاله في غير الآخرة.

إذا أراد أحدنا أن يقف بين يدي شرطي مثلاً أو مسئول فإنه يقف أديباً متواضعاً، لا يسرح بعيداً بذهنه وقلبه، بل يكون حاضراً مهيئاً ليتلقى ما يقال، وما يؤمر وكل تفكيره في هذا المسئول؟ وهو إنسان لا يختلف عنه، وهو مخلوق ضعيف، كيف بالذي يقف بين يدي ربه - تبارك وتعالى - ملك الملوك! ألا يكون مهاجراً إليه بعقله وقلبه،ألا تستولي عليه عظمة المولى العظيم؟ ألا يعلم أن الله - تعالى - يراقبه في كل أمره، وفي كل حركة، وفي كل خلجة من خلجات قلبه، فمن أراد الصلاة التي يرجوا منها قربى عند الله - تبارك وتعالى - ويطمع أن توصله سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، فليهيئ لها قلبه، وفكره، وليسكن لها جوارحه ومشاعره، وفي الحديث الطويل الذي يرويه مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي - رضي الله عنه - جاء في آخر الحديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (فان هو قام فصلى فحمد

الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو أهله، وفرغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه)[1].

إذا أراد المسلم أن لا يغفل عن صلاته، وأن لا يسرح فيها، فعليه بأمور تعينه على ذلك:

أولا - إذا أراد الصلاة أن يستحضر عظمة الله - عز وجل - في قلبه، قاذفاً الحياة الدنيا وزخارفها خلف ظهره، وأن يجعل من الصلاة معراجا إلى الله - تعالى - بقلبه وروحه وعقله، وأن يكون معظماً لهذه العبادة التي يؤديها، إذ لا يسرح في هذه العبادة إنسان من أول الصلاة إلى آخرها، إلا من أفرغ قلبه من كل معاني العظمة والإجلال لمن يقف بين يديه، ومن أفرغ قلبه من كل معاني التعظيم لشعائر الله، أو من ضعف عنده وازع التقوى ومخافة الله العظيم (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنه من تقوى القلوب)[2].

ُثانيا - أن ينظر المصلي في صلاته إلى مكان السجود، لا يتعداه إلى غيره، وإن الكثير من المصلين في صلاتهم ينظرون ويجولون بأبصارهم في المسجد يمنة ويسرة، وإلى الأمام، وإلى أعلى وإلى أسفل، وحدث في ذلك ولا حرج، فاعلم أخي المصلي أن العقل يتبع البصر إذا نظر إلى أي شيء، فإذا نظر إلى السبورة سوف يأخذ في قراءتها، وإذا نظر إلى المنبر سوف يحصي درجات المنبر شكلها وتصميمها، وإذا نظر إلى المحراب سوف يفكر في ديكوره، وزخارفه، وزينته، وإذا صلى في بيته أو في الخلاء نظر إلى كل شيء أمامه وأتبعه العقل والفكر، لذا عليك أخي المصلي أن تجعل نظرك إلى مكان سجودك، وأقرأ هداك الله قول صاحب الإسراء والمعراج عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

[1] رواه مسلم
[2] سورة الحج 32

وسلم - :(ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم)[1].

وفي الحديث الطويل الذي يرويه أبو الحرث الأشعري عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :(فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت)[2]

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن التلفت في الصلاة ، فقال: اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد)[3].

وعن أبى ذر الغفاري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(لا يزال الله مقبلاً على العبد في صلاته ما لم يلتفت فإذا صرف وجه انصرف عنه)[4]

ثالثا - أن يتدبر المصلي فيما يقرأه من القرآن، وفيما يسمعه من الإمام إن كان خلف الإمام،وصدق الله العظيم القائل:(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[5] فإذا لم يتدبر القرآن في الصلاة لعمري لست أدري متى يتدبر؟ وكذلك أن يتدبر ما يقوله في الركوع والسجود من تسابيح، وتكبيرات وأدعية، ومأثورات، وكذلك أن يملأ الركوع والسجود بالتسبيح والأدعية، لأن الفراغ قد يصرف المصلي عن الاشتغال في الصلاة إلى أمر خارج الصلاة، وكذلك بالنسبة للقراءة يملأ وقته أثناء القيام بالقراء، ولا ينصت إلا إذا قرأ الإمام في الصلاة الجهرية لأن القراءة في هذه الحالة تسقط عن المأموم وما عليه إلا أن يستمع، وكذلك بالنسبة للإمام لا يجوز له السكوت بعد قراءة الفاتحة، لأن ذلك لم يصح فيه شيء عن رسول الله - صلى الله

---

[1] رواه البخاري وأبو داود والنسائي وبن ماجة

[2] رواه الترمذي وهذا لفظه ، وقال حسن صحيح ، والنسائي وابن حزيمة وابن حبان في صحيحهما ، والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم .

[3] رواه البخاري والنسائي وأبو داود وابن خزيمة

[4] رواه أحمد وأبوا داود والنسائي ابن خزيمة والحاكم وصححه

[5] سورة محمد آية 24

عليه وسلم - والذي قال: (صلوا كما رأيتموني أصلي)[1]، وأما حديث سمرة - رضي الله عنه - (حفظت سكتتين من رسول الله، إحداهما بعد تكبيرة الإحرام، والأخرى بعد الفاتحة)[2]، فهذا الحديث لم يصح، ولا يقوى على الاحتجاج به، وكم صليت خلف أئمة يسكتون بعد الفاتحة ويطيلون السكوت وذلك مخالف لهدي المصطفى - صلى الله عليه وسلم -.

بعد هذا نقول: أن الإنسان ليس ملكاً لا يسرح في صلاته، ويستحيل أن يحضر بقلبه في كل الصلاة من أولها الى آخرها، أما أن يكون سارحاً في كل صلاته، غافلاً دائماً، فليس هذا من المعقول، وليست هذه بالصلاة المطلوبة.

2- فرضية الصلاة في السماء، تدل على أهمية هذه الفريضة وعظمها، فالصلاة هي من أهم العبادات وأعظمها، فهي ركن الإسلام الأعظم، وهي عمود الدين الذي لا يقوم الدين إلا به، وإليك بعض فضائل الصلاة.

أولا - الصلاة هي الصورة المصغرة للإسلام، فكما أنك تستسلم لله تعالى وذلك بقلبك وجوارحك وحركاتك وسكناتك في الصلاة تكون مع الله في الركوع والسجود، وكذلك يجب أن تكون مع الله كل حياتك وفي كل عمرك في ليلك ونهارك، بجوارحك وقلبك فلا تهوى إلا ما يرضي الله، ولا تكسب يدك إلا ما يرضي الله، ولا تخطو برجلك إلا إلى ما يرضي الله، و لا تعمل إلا في طاعة الله، وتكف جوارحك عن الحرام، وتعمل على حفظ حدود الله، كما تكف بصرك عن النظر إلى المحرمات كما تكف بصرك عن النظر الى غير مكان السجود.

وكذلك وأنت في صلاة الجماعة تتابع الإمام في الركوع والسجود، وفي القراءة، من بداية الصلاة حتى التسليم تتابعه في كل حركة، وفي كل ركن، وتعدله إذا أخطأ، وتقومه إذا خالف في صلاته، وكذلك في الحياة العامة، ينبغي أن تكون مع خليفة

[1] رواه البخاري
[2] قال أهل العلم : هذا حديث مضطرب، وضعفه الألباني

المؤمنين تتابعه فيما يرضي الله، وتطيعه في كل طاعة، وتعينه على تحقيق العبودية لله، وتعينه على كل أمر فيه مصلحة الإسلام والمسلمين، ثم تقوم اعوجاجه إذا لمست منه انحراف، أو اعوجاج كما تقوم إمام الصلاة إذا أخطأ أو خالف، وهي سنة الفاروق - رضي الله عنه - في مساءلة الحكام والمسئولين من قبل الرعية فقال: (إذا رأيتم فيّ اعوجاجاً فقوموه) فقام إليه أحد المسلمين ليقول له: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا.

هكذا تكون الأمة في ظل شرع الله لا تخاف الرعية ولا تهاب حاكما أن تقول له كلمة الحق، ولا تعصيه كذلك في المعروف، والكل حارس على دين الله، كل يعرف ما له وما عليه.

ثانيا - الصلاة هي الركن الوحيد بين أركان الإسلام التي تؤدى في كل يوم، فهي فريضة يومية، وموسم يأتي في كل حين، بخلاف الفرائض الأخرى، التي تؤدى كل سنة مرة، كالزكاة مثلاً، فهي في كل سنة، ولا تجب إلا على الغني، والصيام شهر في كل سنة، ولا يجب إلا على البالغ المستطيع المقيم، والحج مرة واحدة في العمر كله، ولا يجب إلا على المستطيع بماله وجسده، والذي يأمن طريق الوصول الى بيت الله الحرام، أما الصلاة ففي كل يوم ولا تسقط في سفر، ولا حضر، ولا في حرب، ولا مرض، وهي فرض على الغني والفقير، الرجل والمرأة فيها سواء، ولا تسقط الصلاة عن الإنسان إلا إن فقد عقله لأنه مناط التكليف، ومن لم يستطع أن يأتي بشروطها كاملة، سقط عنه ما عجز عنه، ولزمه الباقي، ومن لم يستطع أن يقوم ببعض أركانها سقطت عنه كذلك، فمن لم يستطع الوضوء وهو شرط صحة، فعليه أن يتيمم، ومن لم يستطع القيام يصلي جالسا وهكذا، ومن لم يستطع القعود صلى مستلقياً.

ثالثا - الصلاة هي وصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهذه الأمة، والوصية بشروطها الصحيحة، واجبة التنفيذ إذا كانت من أحد المسلمين، كيف والموصي

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي أمرنا الله تعالى أن نأخذ كل ما آتانا به، وأن نأتمر بأمره، وننتهي بنهيه، وأن نطيعه في كل أمر، جاء في الحديث أن الرسول - صلى الله عليه وسلم : كان آخر ما وصى به الصلاة فقال: (الصلاة، والصلاة، أو ما ملكت أيمانكم)[1] واعلموا أخوة الإسلام أن الموصي دائماً يحرص على أن يوصي بأنفس الأمور وأفضلها، وأنفعها خاصة إن كان الموصي هو من أهل التقوى والصلاح، كيف والموصي هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ربعا - الصلاة هي آخر ما يفقد من هذا الدين، فإن أضاعها الإنسان لم يبق من دينه شيء بعد الصلاة، وأن تركها خروج من ربقة الإسلام كما قال: - صلى الله عليه وسلم - :(لتنقضن عرى الإسلام عروة، عروة،فكلما انتقضت عروة، تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرها الصلاة)[2].

والصلاة استقامة وأخلاق قال - تعالى - : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون)[3] فالصلاة لقاء مع الله تعالى خمس مرات في كل يوم، وهذا يجعل الإنسان مشدوداً إلى الله، راغباً في طاعته بعيداً عن معصيته، فإذا وسوس له الشيطان بمعصية، لا بد أن يتذكر أنه كان قبل قليل بين يدي الله، وهو بعد قليل سيقف بين يديه، وفي ذلك تجديد للعهد مع الله، وهو خير رادع، وخير زاجر من الوقوع في الآثام، أو في كل ما يغضب الله - تعالى - وصدق الله تعالى القائل في وصف المؤمنين:(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)[4]

---

[1] رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألباني

[2] رواه بن حيان

[3] سورة العنكبوت آية 45

[4] سورة الأعراف آية 201

وان كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا يعني: أن الصلاة ليست شعائر تؤدى ثم تنتهي بانتهائها، بل هي روح تصقل النفس وتهذبها، وترشدها إلى البر والإحسان في كل لحظة، وفي كل ساعة.

خامسا - وعلى الصلاة يتوقف مصير الإنسان يوم القيامة كما جاء في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:(أول ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة صلاته، إن صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر عمله)[1]

فالإنسان يوم القيامة مرهون بعمله:{ كل نفس بما كسبت رهينة)[2] (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)[3] لكن العمل مرهون كما مر في الحديث بصحة الصلاة ..معنى هذا أن الإنسان يوم القيامة مرهون بصلاته وصدق الله العظيم القائل :(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)[4].

من هنا ندرك السر وراء فرضية الصلاة على أبواب الجنة، لأنها السبب الكامن بعد مشيئة الله في دخول الجنة، فمن أراد الوصول إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، فهذا هو مفتاح الجنة إنه الصلاة!

سادسا - الصلاة راحة وطمأنينة لنفس المؤمن، وقرة عين له، والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: عندما يأمر بلال بالإقامة:(أرحنا بها يا بلال)[5]

وقال : (وجعلت قرة عيني في الصلاة)[6].

كما أن الصلاة عون للمؤمن على الصبر والتقرب إلى الله تبارك وتعالى: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)[7].

---

[1] رواه الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة والبيهقي وهو حديث صحيح كما قال الألباني
[2] سورة المدثر آية 38
[3] سورة الأعراف آية 8
[4] سورة المؤمنون آية 1، 2
[5] رواه أبو داود وأحمد
[6] رواه النسائي وصححه الألباني
[7] سورة البقرة آية 153

سابعا - والصلاة ذخر وأجر عظيم، وثواب لا يقدر ومغفرة للذنوب ومطهرة للنفس من كل معصية، والصلاة نور ونجاة يوم القيامة، تجد ذلك جلياً في كتب الحديث والفضائل- فعن معدان بن أبى طلحة - رضي الله عنه - قال: لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقلت اخبرني بعمل أعمله يدخلني الجنة أو قلت بأحب الأعمال إلى الله، فسكت، ثم سألته فسكت، ثم سألته الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : (عليك بكثرة السجود لله فإنك لا تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط بها عنك خطيئة)[1].

3- وفي ذلك تشبه بالملائكة ففي الحديث عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله: ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة(وما منا إلا له مقام معلوم، وإنا لنحن الصافون، وإنا لنحن المسبحون)[2]

قال ابن حجر: والحكمة من تخصيص فرض الصلاة في ليلة الإسراء أنه - صلى الله عليه - وسلم لما عرج به رأى في تلك الليلة تعبد الملائكة وأن منهم القائم فلا يقعد: والراكع فلا يسجد، والساجد فلا يقعد، فجمع الله له تلك العبادات كلها في كل ركعة، بشرائطها من الطمأنينة والإخلاص)[3]

منزلة الصلاة بين فرائض الإسلام كمنزلة القلب في الجسد، وأركانه، ومن هنا كان التقصير والتهاون في هذه الشعيرة هي الأقبح والأسوأ، وأن الذين يقصرون أو يتهاونون في هذا الركن العظيم، هم الأسوأ من بين العصاة الآخرين، فترك الصلاة أسوأ من ترك الزكاة أو الصيام أو الحج، بل ترك الصلاة أسوأ من الزنا وشرب الخمر، وبقية الكبائر الأخرى عدا الشرك والكفر، وما أكثر الذين يتهاونون في فريضة الصلاة في هذا الزمان! ما أكثر الذين لم يسجدوا لله قط وهم من أبناء المسلمين، ومحسوبين على الإسلام! وما أكثر الذين لا يصلون إلا في المناسبات!

---

[1] رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة

[2] ذكره الألباني في الصحيحة رقم 1059وقال: إسناده حسن بشواهده

[3] فتح الباري لان حجر 7ص 619

لقد ركن الكثير منهم وتواكلوا على بعض التساهل من بعض الفقهاء الذين قالوا: إن ترك الصلاة فسق، والفاسق لا يخرج من الملة وحتى لو سلمنا بهذا الأمر فيكفي تاركي الصلاة أن الله تعالى قال:(كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا)[1] وأن الله خص هذا الوصف لإبليس عندما قال:(إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه)[2] وقال: (وأما الذين فسقوا فمأواهم النار)[3]،وأساءوا فهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قال من قال لا اله إلا الله ، دخل الجنة)[4] ، ونسوا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (بين الرجل وبين والكفر ترك الصلاة من تركها فقد كفر)[5]

فكلمة "لا إله إلا الله" تعني الاستسلام في كل شيء لله، وليست لفظ مجرد بلا روح.

ونحن في الأسطر القادمة نذكر أنفسنا كما ونذكر المتهاونين ، بما ورد من الآثار والإحكام للمقصرين والمتهاونين في هذا الفرض العظيم .

قال بن حزم الظاهري : وقد جاء عن عمرو بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبى هريرة، وغيرهم من الصحابة: أن من ترك فرضاً واحداً من الصلاة حتى يخرج وقتها فهو مرتد، ولا نعلم لهؤلاء الصحابة مخالفا.

فاسمع أخي هداك الله، صحابة رسول الله كانوا يرون أن ترك فرض واحد تكاسلاً وتشاغلا - بما لا يعد في الشرع عذرا - فهو كافر مرتد، فكيف بالذين يتركون الصلاة أياما، واشهرا، بل وسنوات لا يصلون ولا يدخلون المساجد إلا محمولون على آلة حدباء بلا حراك! فإن النصوص واضحة في تكفير هؤلاء وإخراجهم من ملة الإسلام واليك الأدلة:

1 - صرحت الأحاديث الصحيحة بأن تارك الصلاة بلا عذر شرعي كافر مرتد:

---

[1] سورة يونس آية 33
[2] سورة الكهف آية 50
[3] سورة السجدة آية 20
[4] رواه البخاري
[5] رواه الإمام أحمد ، ومسلم

أولا - عن جابر - رضي الله عنه - قال : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (بين الرجل والكفر ترك الصلاة)[1].

وفي رواية أحمد (بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة) وفي رواية أبى داود والنسائي (ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة)

ثانيا- وفي رواية الترمذي، قال: (بين الكفر والإيمان ترك الصلاة وفي راوية بن ماجة، قال: (بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة).

ثالثا - وعن بريده - رضي الله عنه - عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر)[2].

وتارك الصلاة يحشر مع أئمة الكفر يوم القيامة، جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ذكر الصلاة يوماً، فقال: (من حافظ عليها كانت له نورا، وبرهانا، ونجاة، يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها، لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف)[3]

إذا كان تارك المحافظة على الصلاة يحشر مع أئمة الكفر والضلال يوم القيامة كيف بمن لا يصلي ولا يعرف الصلاة.

2- إن الله توعد المقصرين في الصلاة بالويل والثبور والغي يوم القيامة: قال تعالى: (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)[4] والآية كما هو واضح تتحدث عن الذين يصلون ولكن يقصرون ويتهاونون في أدائها، كأن يؤخرونها عن وقتها ولا يؤدونها بشروطها وأركانها، فكيف بالذين لا يصلون أبداً؟.

---

[1] رواه مسلم

[2] رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي وقال الترمذي : حسن صحيح . وابن ماجه، وابن حيان في صحيحة والحاكم ، وقال : صحيح لا نعرف له علة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

[3] رواه أحمد بإسناد جيد ، والطبراني في الكبير والأوسط ، وابن حيان في صحيحه .

[4] سورة الماعون آية 4، 5

وقال تعالى:(يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون)[1] إنهم الذين يدعون إلى السجود في الحياة الدنيا رغم صحتهم، فلا يسجدون ولا يصلون، فيعاقب هؤلاء بحرمانهم من القدرة على السجود يوم القيامة، والآية عامة في كل الذين أمروا بالسجود ولم يسجدوا دون تخصيص.

قال تعالى:(فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا)[2] والغي هو الخسارة يوم القيامة، قال بن عباس - رضي الله عنهما - : أي خسرانا، وقال قتادة: شراً، وقال عبد الله بن مسعود في قوله: (سوف يلقون غيا): واد في جهنم بعيد القعر، خبيث الطعم، وقال الأعمش عن زياد بن عياض في قوله: (فسوف يلقون غيا): واد في جهنم من قيح ودم.

هذه حال المضيع للصلاة، فإذا لم يكن تارك الصلاة مضيعاً لها فمن أضاعها إذن؟

ثم إن وظيفة الإنسان في الحياة الدنيا هي عبادة الله تبارك وتعالى، فالذين يتركون الصلاة وهي آخر ما ينقض من هذا الدين فأين عبادة هؤلاء بعد ترك الصلاة، وأين غاية وجودهم، ووظيفتهم في الحياة الدنيا، حتى وإن كان تارك الصلاة يزكي ويصوم، ويقوم بكل أمر إلا الصلاة، فعمله لا يصلح وذلك بنص الحديث الصحيح الصريح (أول عمل يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة صلاته، إن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله)[3] فالذي لا يصلي إذن لا يصلح له عمل والله اعلم.

4- صرحت الأحاديث الصحيحة بوجوب قتل تارك الصلاة:

جاء في الحديث عن بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً

[1] سورة المعرج 42، 43
[2] سورة مريم آية 59
[3] رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي

رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله جل وعلا)[1].

وعن أم سلمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أنه سيستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد بريء، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وبايع، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا)[2].

معنى هذا أن الذي يعصم الدم هو الصلاة، وإلا قتل تاركها والله أعلم.

5- تكفير تارك الصلاة هو رأي الكثير من الصحابة والعلماء والمحدثين، فمن الصحابة، علي بن أبى طالب - رضي الله عنه - قال: من لم يصل فهو كافر)[3]،ومنهم ابن عباس - رضي الله عنها - : (من ترك الصلاة فقد كفر)،ومنهم ابن مسعود - رضي الله عنهما – (من ترك الصلاة فلا دين له).

ومنهم جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - (من لم يصل فهو كافر).

ومنهم أبو الدرداء الذي قال في تارك الصلاة: (لا إيمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا وضوء له).

ورد في تكفير تارك الصلاة عن عبد الرحمن بن عوف، ومعاذ بن جبل، وأبى هريرة، وعمر بن الخطاب.

ومن غير الصحابة أحمد بن حنبل، واسحق بن راهويه، وعبد الله بن المبارك، والحكم بن عتبة، وأبو أيوب السختياني، وأبو داود الطياليسي، وأبو بكر بن أبى شيبة، وزهير بن حرب.

ورأى بعض العلماء والفقهاء، ومنهم الشافعي، والإمام مالكي، وأبو حنيفة - رحمهم الله جميعا - أن تارك الصلاة لا يكفر بل يفسق ويستتاب، وإلا قتل حداً عند الشافعية والمالكية، ويحبس عند أبى حنيفة حتى يصلي، وحملوا أحاديث التكفير على

---

[1] رواه البخاري
[2] رواه مسلم
[3] رواه البخاري موقوفاً على علي

الجحود، لا على مجرد الترك، واستدلوا على عدم تكفير تارك الصلاة بأحاديث كثيرة، لكنها نصوص عامة، والنصوص التي تفيد تكفير تارك الصلاة نصوص خاصة، والحق حمل العام على الخاص وليس العكس.

وأما قولهم: إن أحاديث التكفير خاصة بمن جحد الصلاة، فهذا تخصيص لعموم النصوص بلا مخصص، فالعام على عمومه ما يرد دليل التخصص، فالأحاديث صرحت بأن تارك الصلاة كافر سواء كان منكرا لها أو جاحداً لفرضيتها، أو تاركاً لها تكاسلاً عنها دون تقييد.

هناك فئة ثالثة من العلماء في هذا الزمن، لا يكفرون تارك الصلاة رغم الأحاديث الصريحة في ذلك، حجتهم هي عموم البلوى التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمن، فالذين يتركون الصلاة اليوم من هذا الأمة قد يكونون أكثر من الذين يصلون، فالقول بتكفير تارك الصلاة، يعني تكفير عدد كبير من الناس، والكفر يترتب عليه أحكام خطيرة - كما هو معلوم - أما الرد على هذه الحجة فمتى كانت أحكام الشرع تتوقف على مدى التزام الناس بها، أو تركهم لها، فالحكم الشرعي القطعي كالصلاة هو الحق من عند الله لا يتغير من زمن إلى زمن ولا من أرض إلى أرض، سواء التزم به كل الناس أو بعض الناس، أو حتى تركه كل الناس، بخلاف الأحكام التي يجوز فيها الاجتهاد واعمال العقل، فهذه الأحكام يمكن أن تتغير بتغير الزمان والمكان والعرف، فعجباً لأصحاب هذه الحجة الذين يتركون النصوص الواضحة البينة ن وذلك مراعاة وشفقة على المتهاونين المقصرين في حق الله - تبارك وتعالى -!! أولا يعلمون أن الله غني عن العالمين ؟ وصدق الله تعالى الذي قال.(إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جمعياً فإن الله غني عن العالمين)[1] والأصل تحاكم الناس إلى الدين، وليس تحاكم الدين إلى مدى تطبيق الناس له، إذ يمكن للمهادنة أن تشق طريقها إلى مبادئ البشر أما إلى شرع الله فلا.

[1] سورة إبراهيم آية 8

ولـيعلم المشـفقون علـى المتهـاونين: أن الله تعـالى لمـا أقـر هـذا الحكـم كـان أرفـق بهـؤلاء مـن أنفسـهم وأرحـم، فـالأولى وضـع الحـق فـي نصـابه ولـيس علـيكم حسـاب المتهاونين حتـى ترحمـوهم أولا ترحمـوهم، إنمـا حسـابهم علـى الله الـذي يعلـم السـر وأخفى.

الفصل الخامس

رسول الله في مكة

المبحث الأول

-الصدع بالحق -

وهكذا عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذه الرحلة الطويلة المباركة التي تجاوزت كل حد، واخترقت كل ممتنع، عاد - صلى الله عليه وسلم - من هذه الرحلة التي تفتح للمسلمين أبواب التفكر والتأمل فيما وراء المشاهد والمحسوس، وتفتح أفاقاً بعد هذه الأرض، وبعد تلك الكواكب والنجوم التي نرى في السماء، كما أنها كانت مغنماً وصيداً للمشككين من أصحابهم الأهواء والمشركين، الذين طمس الله على عقولهم، وعلى أسماعهم، وعلى أبصارهم الذين لا تتجاوز أنظارهم مواقع أقدامهم.

عاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة المكرمة ليعلن هناك على الملأ أنه أسري به من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء ثم سدرة المنتهى، وأنه رأى هناك من آيات ربه الكبرى، جاء في رواية أم هاني - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :(اخبرها صبيحة الإسراء والمعراج بكل ما جرى معه في تلك الليلة ، ثم أخبرها أنه يريد آن يخرج إلى قريش ليخبرهم بما رأى، ثم تقول أم هاني: فأخذت بثوبه، فقلت: أذكرك الله أنك تأتي قومك يكذبوك وينكرون مقالتك، فأخاف أن يسطو بك، قالت: فضرب ثوبه من يدي ثم خرج إليهم، فأتاهم وهم جلوس فاخبرهم بما اخبرني، فقام إليه جبير بن مطعم فقال: يا محمد: أن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به وأنت بين ظهرانينا)[1] أي لو بقيت

[1] رواه الطبراني في المعجم الكبير وهو ضعيف

على دعوتك أي - دعوة الإسلام - لما قلت ما قلت فإن ما تقول لا يمكن أن يجري ولا يتصور.

وشاع الخبر في قريش واتخذ المشركون هذا الحدث مادة للسخرية، وهدفاً للصد عن سبيل الله، وعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – وهي فرصة سانحة كانوا ينتظرونها للتشكيك في صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم بدأت حملة تشكيك قادها أقطاب الجاهلية، والتي هزت كيان الفئة المؤمنة، حتى ارتد بعض ضعاف الإيمان، الذين لم يقو إيمانهم على استيعاب هذا الحدث المعجز، جاء في رواية البيهقي عن سعيد بن المسيب أنه قال: (ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة فأخبر أنه أسري به، فافتتن ناس كثير كانوا يصلون معه).

إن موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي سارع يخبر الخصوم بهذا الحدث العظيم يعلمنا كيف يكون الداعية جريئا مقداماً لا يخشى في الحق لومة لائم؟ وأن يكون واثقاً من حقه الذي يحمله، معتزاً به، فإن ثقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحق الذي جاء به والحق الذي جرى معه ليلة الإسراء والمعراج جعله يصارح القوم بما رأى، أنى كانت النتيجة، وكائناً ما كان رأيهم في هذا الحق، رغم ارتداد ضعاف الإيمان، ورغم اتخاذ بعض المشككين هذا الحدث مادة للطعن والتكذيب والتشكيك، لكن هذا كله لم يكن ليمنع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الصدع بالحق المبين، وفي هذا مثل كريم للدعاة العاملين أن يجهروا بالحق، ولا يخشوا أثره ووقعه في نفوس الخصوم، فالدعاة كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يتملقون أحدا في الحق، ولا يتحسسون مواضع الرضا والاستحسان عند الناس ليرضوهم به، كما يفعل الكثير من المجاملين في زماننا هذا، ومن الذين تربعوا على مقاعد الفتوى والوعظ والإرشاد، كم سمعنا هؤلاء وهم يأمرون الدعاة والعاملين، أن يسيروا مع التيار، وحجتهم أن الناس يستحسنون ما يوافق هواهم، ويساير مصالحهم، ..كم من أهل الفتوى أو المشايخ من لا يفتي إلا بما يرضي

العوام، سواء كان حقاً، أو باطلاً، راجحاً، أو مرجوحاً، وإذا سئل عن ذلك أجاب: أن عامة الناس يريدون ذلك، وأن التيار الجارف يستوجب ذلك، ويقصدون بالتيار الرأي العام، أو رأي السواد الأعظم من الناس، ومتى كان الدين يخضع لرأي العوام، فما رضيه العوام كان هو الحق وما كرهه العوام لم يكن من الدين في شيء، فسبحان الله، هل جاء الدين ليخضع للأهواء أم لتخضع له الأهواء؟هل جاء الحق المبين ليخضع لأمزجة الناس ومصالحهم المتضاربة ؟ أم ليخضعوا كل شيء لدين الله .

أما علماء السلاطين، الذين يحلون للطواغيت ما يريدون، ويستبيحون لهم ما يرغبون، فحدث عنهم ولا حرج، فكل ظالم أو طاغوت، له زمرة من هؤلاء الذين هم أخطر على الإسلام من أقطاب الجاهلية، بل ومن الزنادقة.

من هو الذي يقرر هذا حق وهذا باطل؟ هل هو أصحاب العمائم؟أم هل هم عوام الناس؟ أم هل هم الطواغيت ؟ إن الذي يقرر هذا حق وهذا باطل، هو الله - عز وجل - وأن هذا من بدهيات الإسلام التي يدركها المسلمون البسطاء، فضلاً عن العلماء، فالله تعالى يقول:(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)[1].

فإحقاق الحق وإبطال الباطل، من خصوصيات الله - عز وجل - وليست لأحد من دونه وصدق الله تعالى إذ قال:(الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)[2]، ولو كان الحق خاضعاً لأهواء الناس ومصالحهم، لما استقر للحق قرار، ولما بقي له أثر، ولفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وصدق الله العظيم القائل:(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون)[3] وقال تعالى (إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)[1].

---

[1] سورة الأنفال آية 7، 8
[2] سورة البثرة 147
[3] سورة المؤمنون آية 71

فالحق جاء من عند الله، لتخضع له الأهواء، والمصالح، جاء لتسيير حياة الأمم والشعوب، فلا يمكن للحق أن يخضع لأهواء الملوك والساسة، كما يريد المهزومون والمنتفعون الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم، كم هو مؤلم أن تسمع لإمام الحرم المكي في بيت الله العتيق أول بيت وضع في الأرض لطاعة الله، وهو يهاجم العزل الذين ذبحوا في ميدان رابعة العدوية وأحرقت جثثهم، وهو يصفهم بالخوارج والقتلة، ويعلن مع ملك بلاده الداعم للقتلة المجرمين، وعميد كلية أصول الدين في الأزهر الشريف يقول: إن التاريخ يعيد نفسه، ذلك أن الله عز وجل أرسل في الماضي موسى وهارون لمواجهة الطاغية فرعون، وأرسل في هذا الزمان السيسي ووزير داخليته محمد إبراهيم لمواجهة الإخوان المسلمين، ووزير الأوقاف الفلسطيني فرض على الأئمة أن يشتموا الشيخ القرضاوي على منابر مساجد فلسطين، وجريمته أنه مناصر لقضية فلسطين!! ذكر مزيد من الأمثلة من هذه الشاكلة تطول.

أما أنت أخي الداعية كما علمك محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - تصدع بالحق وتجهر به (إن عليك إلا البلاغ)[2] وليس المطلوب منك إرضاء الأهواء وتحقيق الرغبات بالباطل، وليس المطلوب منك أن يستجيب الناس، أو لا يستجيبوا للحق (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)[3] (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)[4] يقول سيد قطب - رحمه الله - في الظلال في هذه الآية " إن الحق صريح لا مداورة فيه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ومن لم يعجبه الحق فليذهب، ومن لم يجعل هواه تبعاً لما جاء من عند الله، فلا مجاملة على حساب العقيدة، ومن لم يحن هامته ويطاطىء من كبريائه أمام جلال الله فلا حاجة بالعقيدة إليه، إن العقيدة ليست ملكاً لأحد، حتى يجامل فيها إنما هي ملك لله - تبارك وتعالى -

---

[1] سورة الأنعام آية 116
[2] سورة الشورى آية 48
[3] سورة الرعد آية 7
[4] سورة الكهف آية 29

والله غني عن العالمين، والعقيدة لا تنتصر ولا تعتز بمن لا يريدونها لذاتها خالصة، ولا يأخذونها كما هي بلا تحوير، والذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لا يرجى منه خير للإسلام والمسلمين)[1] ".

كيف يتلكأ الدعاة عن قول الحق وعن الجهر بالحق، وقد جعل الله تعالى أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، كما جاء في الحديث عن أبى سعيد - رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)[2]

وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - (أن رجلاً سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم -: أي الجهاد أفضل؟ قال: كلمة حق عند سلطان جائر)[3]

هكذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة الدعاة في كل زمن وجيل، لقد كان حرباً على الباطل وأهل الباطل، وناراً على المشركين وإلهتهم المزيفة، كان يسفه أحلامهم ومعتقداتهم وينسف مبادئهم، وإن ما تعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من الأذى يعكس لنا موقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصلابته في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وهو الذي قال يوم أن عاد من الطائف قبل رحلة الإسراء والمعراج مباشرة وبعد أن رده أهلها رداً قبيحاً: (اللهم إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي).

وأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين تتلمذوا على يديه كانوا مثلاً يحتذى في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، لا يخشون في الله لومة لائم.

فهذا المغيرة ابن شعبة، يوم أن ذهب إلى كسرى صاحب الشوكة والصولجان والجاه والسلطان، كما جاء عن أبي عثمان النهدي :(واقبل المغيرة وله أربع ظفائر يمشي حتى جلس على سريره ووسادته - يعني سرير السلطان ووسادة السلطان -

[1] في ظلال القرآن سيد قطب ج4 ص 2269)
[2] رواه أبو داوود والترمذي وقال حديث حسن .
[3] رواه النسائي بسند صحيح .

فوثبوا عليه فتتروه وانزلوه ومعتوه، فقال المغيرة قول المعتز بدينه وعقيدته: (كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قوماً أسفه منكم، إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محارباً لصاحبه، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أربابا لبعض، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فنصنعه، فلم آتكم ولكن دعوتموني، اليوم علمت أن أمركم مضمحل، وأنكم مغلوبون، وأن ملكاً لا يقوم على هذه السير، ولا على هذه العقول)[1]

لقد خرجت مدرسة الإسلام، ولا تزال أبطالا لا يخافون في الله لومة لائم، خرجت شجاعاً لا يرضون بالدنية، ولا ينامون على ضيم خرجت أمثال ابن تيمة، الذي عذبه الطغاة، فقال: لهم إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفي سياحة في أرض الله، وخرجت أيضا العز بن عبد السلام، الذي باع الملوك في سوق النخاسة إحقاقا للحق وأبطالا للباطل، وخرجت احمد بن حنبل الذي عاش المحنة أيام المأمون، والذي أصر على رأيه رغم الأذى والعذاب الذي لحق به، ولقد بقي موقفه مثلا لكل داعية، في الثبات على الثوابت والإصرار على الحق، لقد كان مثلا لكل المخلصين الذين لم يمنعهم مانع من الصدع بكلمة الحق، وإيصالها لكل أذن، ولم يمنعهم مانع من جعل الحق في نصابه والباطل في حضيضيه.

فاعلموا يا دعاة الإسلام اليوم، أن الصمت عن قول الحق خيانة كبرى، وأن الاستسلام للواقع المرير كبيرة من الكبائر، وأن الأعظم من ذلك أن نماري الطواغيت وغير الطواغيت من عوام الناس، على حساب الدين أو نتملق هذا أو ذاك على حساب العقيدة، واعلموا أيها الدعاة أن الخوف من الصدع بالحق، والوجل من أبطال الباطل، لا يحرر شعوباً مستعبدة، ولا يحيي أمة ميتة، ولا يعيد مجدا ضائعا، ولا يبني للإسلام عزاً، واعلموا أن أمر هذا الدين لا يقوم إلا على أكتاف الأبطال،

[1] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين منقول عن الطبري ج 4 ص 108 .

الذين نذروا أنفسهم لله، الذين يقتحمون الأهوال ولا يبالون لا يخافون إلا من الله الذي بيده الأرزاق والآجال، واعلموا أن العلم مسؤولية كبرى، وأن الله لم يكرمنا بهذا الدين حتى نغلق عليه صدورنا.

الأحداث الجسام تغربل
الصف من العناصر المحمولة

إن الأحداث الجسام والشدائد والمحن من أهم العوامل التي تساعد في تكوين الشخصية الإسلامية، فالإيمان يبقى مجرد دعوى يدعيه صاحبه حتى تثبته، أو تنفيه الأحداث الجسام والصعاب، التي يتعرض لها الإنسان المسلم، فصاحب الإيمان الراسخ هو الذي يواجه الأحداث والصعاب والشدائد والمحن، بالصبر والثبات وهو الذي يستعصي على كل الأهوال، وصاحب الإيمان الضئيل السقيم هو الذي ينهار وينتكس أمام الهزات.

فهذا الصديق لما أخبر بأمر الأسراء والمعراج، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أخبر بذلك، فلم يتردد الصديق في تصديق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ففي رواية جابر بن عبد الله قال: ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة فاخبره: أنه أسري به، فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه، وقال ابن شهاب: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن:(فتجهز ناس من قريش إلى أبى بكر - رضي الله عنه - فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم انه جاء إلى بيت المقدس، ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر الصديق: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: أنا اشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة، ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح. قال: نعم، أنا أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، قال أبو سلمة: فيها سمي أبو بكر الصديق)[1] .

[1] أخرجه البيهقي عن سعيد بن المسيب .

إنها العقيدة المتمكنة، إنه التسليم للصادق الأمين، إنها رسوخ العقيدة رسوخ الجبال الرواسي أمام الأعاصير والهزات والعواصف، في حين أن ضعاف الإيمان قد انتكسوا على أعقابهم، وارتدوا عن دينهم، كما هو في الرواية عن ابن شهاب قال:(سمعت سعيد بن المسيب ، يقول : ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة، فاخبر أنه أسرى به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه)[1]

إنهم ضعاف الإيمان، إنها النفوس المريضة التي تتهاوى أمام الهزات،وتنهار أمام الأحداث، وتتساقط على طريق الإيمان المعبد بالمحن، والشدائد، والإحداث الجسام.

وصدق الله إذ قال: (ومن الناس من يعبد الله على فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)[2].

وقال تعالى:(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)[3].

فالمحن والأحداث والصعاب، كانت ولا تزال تغربل صف المؤمنين من ضعاف النفوس، ومن العناصر المحمولة والتي هي عبئ على دعوة الله، و في الوقت نفسه تعمل على صقل الدعاة، وتنفي عن المؤمن كل عالقة كالكير ينفي خبث الحديد والذهب والفضة، يقول الشهيد سيد قطب: (إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة يرفعها على ذواتها ويطهرها في بوتقة الألم، فيصفوا عنصرها، ويضيء ويهب العقيدة عمقاً وقوة وحيوية، فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها، وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا، كما وقع، وكما يقع في كل قضية حق يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق، حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم، وناصرهم أشد المناوئين، وأكبر المعاندين - حتى إن لم يقع هذا - يقع ما هو أعظم منه في حقيقته، يقع أن يرتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض

[1] أخرجه البيهقي عن سعيد بن المسيب .
[2] سورة الحج آية 11
[3] سورة العنكبوت آية 2 ، 3

وشرورها وفتنها، وأن تنطلق من آثار الحرص على الدعة والراحة والحرص على الحياة نفسها في النهاية، وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها، وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء، كسب يرجح بكل الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته.

وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف هذا هو الطريق، كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى، والجماعة المسلمة في كل جيل)[1] ...

هذا هو الطريق ، إيمان ، وجهاد ، ومحنة ، وابتلاء ، وصبر ، وثبات ، وتوجه إلى الله وحده ، ثم يجيء النصر ، ثم يجيء النصر "

تم بفضل الله

[1] الظلال ج 1 ص 219

معجزة الإسراء والمعراج هي: ثمرة العناء الطويل الذي واجهه الرسول- صلى الله عليه وسلم –

ثمرة الصبر والثبات، وتحمل الأذى في سبيل الله، والإصرار على مواصلة طريق النبوة في تبليغ دعوة الله، واخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة على كل الناس، وإرشادهم لما فيه خير الدنيا والآخرة.

وان الذي سرى عن قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد طول العناء والمشقة، ثم التكذيب من قومه فسرى عنه بهذه الرحلة المباركة، وما رأى فيها من آيات ربه الكبرى، وما لقي فيها من الحفاوة والتكريم! لا بد أن يسري عن قلوب المؤمنين، الذين حملوا الراية بعد رسول الله، وذلك بعد تحمل العناء والمشقة في سبيل الله، وبعد الإصرار على مواصلة الطريق التي شقها رسول الله وبين معالمها.

لئن افتخرت دول الشرق والغرب اليوم بإرسال مبعوثيها إلى القمر، أو بغزوها للفضاء الذي يحيط بالأرض، وأرسلت مركباتها إلى المريخ، فواجب هذه الأمة أن تكون أكثر فخراً واعتزازا بنبيها وقائدها، ورائدها ومبعوثها إلى الفضاء الذي تجاوز حدود الأرض وتجاوز حدود القمر، الذي هو جزء من محيط الأرض يدور في فلكها، بل تجاوز كل الأقمار والكواكب والنجوم، والأفلاك، ووصل إلى مكان لا يصل إليه نبي مرسل وذلك في زمن لم يكن فيه مركبة فضائية، ولا طائرة نفاثة.

ولئن كانت دول الكفر تغزو الفضاء اليوم وتصعد إلى القمر من اجل تدمير البشرية واشغالها في التسابق في التسليح فيما يسمى (بمشروع حرب النجوم) فإن النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - الذي جاء رحمة للعالمين، إنما راد الفضاء من أجل إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لإخراجها من الظلمات إلى النور ومن النار إلى الجنة.

ولئن كان نبينا هو أول رائد فضاء بحق، فمن العيب اليوم أن يكون المسلمون في ذيل البشرية في هذا المضمار، وفي موقف المتفرج الذي لا يملك حيلة